كيف تعيد «الحوسبة العضوية» هندسة الإنسان والسياسة؟

ص3

هاني شنودة «خواجا الموسيقى» الذي صنع مفردات فنية جديدة

ص9

الأدوية المغشوشة... تهديد عابر للحدود

ص10

العرب

أول صحيفة عربية يومية تأسست في لندن 1977

أسسها: أحمد الصالحين الهوني

الخميس 2026/07/23 - 09 صفر 1448

السنة 49 العدد 13868

Thursday 23/07/2026

49th Year, Issue 13868

www.alarab.co.uk

إسلام آباد تخشى استدراج السعودية إلى الحرب... فخ إستراتيجي مزدوج

رسالة باكستانية إلى جميع الأطراف: أمن السعودية خط أحمر

علاقة استثنائية بين باكستان والسعودية

إسلام آباد - تنظر باكستان بقلق متزايد إلى التصعيد العسكري في الشرق الأوسط، ليس فقط بسبب انعكاساته على أمن المنطقة، وإنما أيضاً لأن أي توسع للصراع ليشمل المملكة العربية السعودية قد يضع إسلام آباد أمام واحد من أكثر الاختبارات تعقيدا في سياستها الخارجية منذ سنوات.

فالقيادة الباكستانية تدرك أن انتقال المواجهة من دائرة الاشتباكات المحدودة إلى استهداف مباشر للسعودية أو لمرافقها الحيوية لن يكون حدثا إقليميا عاديا، بل تطورا قد يفرض عليها إعادة تقييم حساباتها الإستراتيجية، في ظل العلاقات الدفاعية الوثيقة التي تربطها بالرياض، وما يرافقها من التزامات سياسية وأمنية يصعب تجاهلها.

ويأتي هذا القلق بالتزامن مع تصاعد التهديدات التي تطال الملاحة في البحر الأحمر، وإعلان جماعة الحوثي توسيع ضغوطها على الموانئ السعودية، وهو ما تعتبره إسلام آباد مؤشرا على احتمال انتقال المواجهة إلى مرحلة أكثر اتساعا، يكون فيها أمن الخليج جزءا من ساحة الصراع المباشر.

وفي هذا السياق، أعربت وزارة الخارجية الباكستانية، الأربعاء، عن "قلق عميق إزاء المحاولات الرامية إلى جر المملكة العربية السعودية إلى الحرب في الشرق الأوسط"، مؤكدة في الوقت نفسه دعم باكستان "الثابت لأمن المملكة العربية السعودية وسيادتها ووحدة أراضيها وازدهارها".

إسلام آباد لا تخشى فقط احتمال الانخراط العسكري، وإنما فقدان هامش التوازن الذي حافظت عليه طوال سنوات

ولا يعكس هذا الموقف مجرد تضامن سياسي مع حليف تقليدي، بل يستند إلى شبكة واسعة من العلاقات الدفاعية والعسكرية التي تطورت على مدى عقود، وجعلت من التعاون الأمني بين البلدين إحدى أبرز ركائز العلاقة الثنائية.

وتنظر الدوائر الإستراتيجية في إسلام آباد إلى أي محاولة لاستهداف السعودية باعتبارها تطورا قد يضع الاتفاقيات الدفاعية القائمة أمام اختبار عملي، حتى وإن ظل شكل الاستجابة الباكستانية في النهاية رهنا بالقرار السياسي وتقدير طبيعة التهديد وحجمه.

ولهذا السبب، ترى باكستان أن محاولات توسيع دائرة الحرب لتشمل المملكة لا تستهدف الرياض وحدها، بل قد تجر بصورة غير مباشرة شركاءها الأمنيين إلى معادلة إقليمية أكثر تعقيدا، وهو ما يفسر حرصها على توجيه رسائل ردع مبكرة تؤكد رفضها لأي خطوات من شأنها نقل المواجهة إلى الخليج.

ويعتقد محللون أن إسلام آباد لا تخشى فقط احتمال الانخراط العسكري، وإنما تخشى كذلك فقدان هامش التوازن الذي حافظت عليه طوال السنوات الماضية في علاقاتها مع مختلف أطراف المنطقة، إذ ترتبط بعلاقات وثيقة مع السعودية ودول الخليج، وفي الوقت نفسه تحرص على عدم الوصول إلى مواجهة مباشرة مع إيران، بحكم الجوار الجغرافي والحدود المشتركة والتداخلات الأمنية في إقليم بلوشستان.

ويجعل هذا التوازن الدقيق القيادة الباكستانية أكثر حساسية تجاه أي تطور قد يفرض عليها الانحياز الكامل إلى أحد طرفي الصراع، وهو سيناريو تسعى إلى تجنبه قدر الإمكان، دون أن يبدو ذلك تراجعا عن التزاماتها تجاه الرياض.

كما تدرك إسلام آباد أن أي حرب واسعة في الخليج ستنعكس مباشرة على اقتصادها الذي يعاني أصلا من ضغوط كبيرة، إذ تعتمد بصورة أساسية على استقرار إمدادات الطاقة القادمة من المنطقة، كما تستضيف السعودية واحدة من أكبر الجاليات الباكستانية العاملة في الخارج، والتي تمثل تحويلاتها المالية موردا حيويا للاقتصاد الوطني.

ومن هذا المنطلق، فإن أي اضطراب طويل في أمن الخليج أو في حركة الملاحة عبر البحر الأحمر ستكون له انعكاسات مباشرة على الاقتصاد الباكستاني، سواء من خلال ارتفاع أسعار الطاقة أو تراجع التحويلات أو تعطل حركة التجارة.

ولا يقل البعد الأمني أهمية عن البعد الاقتصادي، إذ ترى باكستان أن استهداف الموانئ والمنشآت الحيوية السعودية لا يقتصر تأثيره على المملكة وحدها، بل يهدد أمن خطوط التجارة الدولية واستقرار أسواق الطاقة، بما يحول الأزمة من نزاع إقليمي إلى تحد ذي أبعاد دولية.

وتعتبر إسلام آباد أن استمرار الهجمات عبر الوكلاء أو تصاعدها يرفع احتمالات سوء التقدير بين الأطراف المختلفة، ويزيد من فرص انزلاق المنطقة إلى مواجهة يصعب احتواؤها لاحقا، خاصة إذا امتدت إلى الممرات البحرية الإستراتيجية.

ولهذا تكثف الدبلوماسية الباكستانية اتصالاتها مع شركائها الإقليميين والدوليين للتأكيد على ضرورة منع انتقال الحرب إلى مرحلة جديدة، انطلاقا من قناعة بأن احتواء الأزمة لا يخدم أمن الخليج فقط، بل يحمي كذلك استقرار جنوب آسيا الذي قد يتأثر بصورة مباشرة بأي انفجار إقليمي واسع.

ارتباك في حركة الملاحة بالبحر الأحمر بسبب تهديدات الحوثي

صنعاء - بدأت التهديدات الأخيرة التي أطلقتها جماعة الحوثي اليمنية بفرض ما سمته "حظرا" على الملاحة البحرية السعودية تلقي بظلالها على حركة النقل البحري في البحر الأحمر ومضيق باب المندب، لتفتح جبهة جديدة من الاضطراب في أحد أهم الممرات التجارية في العالم. ويأتي هذا التطور في وقت تعاني فيه الأسواق الدولية أصلا من تداعيات التوتر المتصاعد في الخليج العربي والصراع الأميركي – الإيراني حول مضيق هرمز، ما يضع تجارة الطاقة وسلاسل الإمداد العالمية أمام مستوى جديد من المخاطر وعدم اليقين.

ولا تبدو خطورة التطورات الأخيرة مرتبطة بعدد السفن التي غيّرت مسارها فحسب، وإنما بالرسالة التي تحملها، إذ إن مجرد اضطرار شركات الشحن إلى إعادة تقييم مساراتها أو رفع درجات التأهب يعني ارتفاع تكاليف النقل والتأمين وإطالة زمن الرحلات، وهو ما ينعكس مباشرة على أسعار السلع والطاقة في الأسواق العالمية.

وأظهرت بيانات تتبع السفن أن أربع ناقلات غيّرت، الأربعاء، مسارها الملاحي في البحر الأحمر، بعدما كانت في طريقها إلى موانئ سعودية أو تمر عبر الممرات البحرية المؤدية إليها، وذلك عقب التحذيرات التي أطلقتها جماعة الحوثي للسفن من الإبحار نحو الموانئ السعودية.

وأظهرت بيانات تتبع السفن الصادرة عن مجموعة بورصات لندن ومنصة "مارين ترافيك"، إضافة إلى تحليلات مجموعة "فانغارد" البريطانية المتخصصة في إدارة المخاطر البحرية، أن جميع هذه السفن عدلت مسارها، حيث أشارت اثنتان منها إلى أن وجهتهما أصبحت قناة السويس، بينما اتجهت السفينتان الأخريان إلى المياه المفتوحة في البحر الأحمر في انتظار اتضاح الصورة الأمنية.

ولا يقتصر تأثير هذه التحركات على السفن المتجهة إلى السعودية، إذ يخشى خبراء الملاحة من أن يؤدي ارتفاع مستوى المخاطر إلى عزوف المزيد من شركات الشحن عن استخدام البحر الأحمر، أو إلى فرض شركات التأمين أقساطا إضافية على السفن العابرة، وهو سيناريو سبق أن شهدته المنطقة خلال الموجات السابقة من هجمات الحوثيين على السفن التجارية.

ومن جهتها، رفعت مهمة "أسبيدس" البحرية التابعة للاتحاد الأوروبي مستوى التحذير، مؤكدة أن السفن ذات الصلة بإسرائيل أو الولايات المتحدة أو السعودية أصبحت معرضة بدرجة أكبر لخطر الاستهداف من جانب الحوثيين، ودعت هذه السفن إلى تجنب الإبحار عبر البحر الأحمر وخليج عدن إلى حين تراجع مستوى التهديد.

ويعكس هذا التحذير اتجاها متزايدا لدى القوى البحرية الدولية إلى التعامل مع تهديدات الحوثيين باعتبارها تهديدا للملاحة الدولية بأكملها، وليس مجرد امتداد للصراع اليمني أو الإقليمي، خاصة أن البحر الأحمر يمثل ممرا حيويا يمر عبره جزء كبير من التجارة العالمية، بما في ذلك صادرات النفط والغاز والبضائع المتجهة بين آسيا وأوروبا.

كلمة العرب

بقلم: محمد الصالحين الهوني

رئيس التحرير

لبنان يفاوض على سيادته أم على وجوده؟

منذ انتهاء الحرب الأهلية وتوقيع اتفاق الطائف، ظل لبنان يعيش مفارقة سياسية وأمنية فريدة: دولة تمتلك مؤسسات دستورية معترفًا بها دوليًا، لكنها لا تحتكر وحدها قرار الحرب والسلم. ومع الانسحاب الإسرائيلي من معظم جنوب لبنان عام 2000، بدا أن صفحة طويلة من الاحتلال قد طُويت، غير أن الصراع لم ينتهِ، بل انتقل إلى مرحلة جديدة عنوانها سلاح حزب الله. فقد قدم الحزب نفسه باعتباره قوة مقاومة تحفظ توازن الردع مع إسرائيل، فيما رأت أطراف لبنانية أخرى أن استمرار وجود قوة عسكرية خارج سلطة الدولة يحول دون استكمال بناء الدولة الحديثة ويكرس ازدواجية القرار الأمني.

ومع مرور أكثر من عقدين، تعاقبت الحروب والأزمات، وتبدلت موازين القوى الإقليمية، لكن المعادلة اللبنانية بقيت أسيرة السؤال نفسه: هل يمكن أن تستعيد الدولة احتكارها للسلاح من دون أن تشعر بأنها تتخلى عن أمنها؟ وهل تستطيع المقاومة أن تتحول إلى مشروع سياسي مدني من دون أن تعتبر ذلك تخليًا عن هويتها؟

اليوم يعود هذا السؤال بقوة مع الزيارة التي يقوم بها الرئيس اللبناني جوزيف عون إلى واشنطن، وهي أول زيارة رئاسية لبنانية بهذا المستوى منذ سنوات طويلة، وفي توقيت بالغ الحساسية أعقب الحرب الأخيرة والتغيرات التي أصابت البيئة الإقليمية. فالزيارة لا تقتصر على العلاقات الثنائية بين بيروت وواشنطن، بل تمثل اختبارًا لإمكان صياغة معادلة جديدة تقوم على مقايضة شديدة التعقيد: انسحاب إسرائيلي كامل من النقاط المتنازع عليها في الجنوب، مقابل انتقال لبنان تدريجيا إلى احتكار الدولة للسلاح.

لقد أصبح سلاح حزب الله خلال العقود الماضية أكثر من مجرد ملف أمني. فهو يمثل بالنسبة للحزب ضمانة إستراتيجية ضد إسرائيل، كما يشكل جزءًا من هويته السياسية والأيديولوجية، بينما تراه قوى لبنانية أخرى تعبيرًا عن خلل بنيوي في مفهوم الدولة، لأن وجود قوتين مسلحتين داخل الكيان الواحد يجعل القرار الوطني موزعًا بين المؤسسات الرسمية والاعتبارات الإقليمية.

وهذه المعضلة تكشف أن لبنان لا يناقش قضية تقنية تتعلق بترتيبات أمنية، بل يناقش مفهوم السيادة ذاته. فالسيادة لا تكتمل بمجرد رفع العلم على الحدود، وإنما باحتكار الدولة وحدها لاستخدام القوة.

في هذا السياق، تحاول الولايات المتحدة لعب دور الوسيط وصانع الترتيبات الجديدة. فمنذ سنوات تعمل واشنطن على دعم الجيش اللبناني، وعلى تثبيت اتفاقات وقف إطلاق النار، وعلى رعاية مفاوضات الحدود البحرية، وهي اليوم تسعى إلى توسيع هذه المقاربة لتشمل الملف الأمني بأكمله. غير أن السؤال يبقى: هل تملك الإدارة الأميركية الإرادة والقدرة للضغط على إسرائيل بقدر ما تضغط على لبنان؟

الخطاب الأميركي يتحدث باستمرار عن دعم الدولة اللبنانية وتعزيز سيادتها، لكنه يواجه اختبارًا عمليًا عندما يتعلق الأمر بإلزام إسرائيل بخطوات ميدانية واضحة. فإذا كانت واشنطن تطالب بحصر السلاح بيد الدولة، فإن منطق هذه المطالبة يفترض أيضًا إزالة الأسباب التي تُستخدم لتبرير استمرار السلاح، وفي مقدمتها الاحتلال والخروقات العسكرية المتكررة.

أما بالنسبة للرئيس الأميركي دونالد ترامب، فإن الملف اللبناني يحمل بعدًا يتجاوز حدوده المحلية. فالإدارة الأميركية تسعى إلى تقديم نفسها باعتبارها قادرة على إعادة ترتيب الشرق الأوسط بعد سنوات من الحروب المفتوحة، وهي تدرك أن أي تقدم في لبنان سيُحسب ضمن سجلها السياسي والدبلوماسي. لكن هذه الرغبة تصطدم بحقائق إقليمية أكثر تعقيدًا، أبرزها استمرار التنافس مع إيران، وتداخل الساحتين اللبنانية والسورية، وارتباط حزب الله بمحور إقليمي لا ينظر إلى سلاحه باعتباره شأنا لبنانيا صرفا.

لبنان لا يناقش ملفا أمنيا تقنيا بل يفاوض على تعريف الدولة: هل تحتكر القرار أم تبقى ساحة لتشابكات إقليمية؟

ومن هنا ينتقل النقاش إلى المأزق الذي يواجه حزب الله نفسه. فالحزب خرج من الحرب الأخيرة بخسائر عسكرية وبشرية وسياسية لا يمكن تجاهلها، كما واجه ضغوطا داخلية غير مسبوقة من قطاعات واسعة من اللبنانيين الذين باتوا يربطون استمرار الأزمات الاقتصادية والمالية باستمرار حالة الصراع المفتوح. وفي الوقت نفسه، لا يستطيع الحزب التخلي بسهولة عن السلاح، لأنه يمثل بالنسبة إليه مصدر شرعيته وقوته ونفوذه داخل لبنان وخارجه.

لكن التاريخ السياسي يعلمنا أن الحركات المسلحة لا تبقى على صورتها الأولى إلى الأبد. فقد شهد العالم تجارب عديدة انتقلت فيها قوى المقاومة أو الحركات العسكرية إلى العمل السياسي الكامل عندما تبدلت الظروف الإستراتيجية. والسؤال الذي يطرح نفسه اليوم هو ما إذا كان حزب الله مستعدًا للبحث عن صيغة مشابهة، تسمح له بالحفاظ على حضوره السياسي والاجتماعي، مقابل انتقال المسؤولية العسكرية تدريجيًا إلى الدولة اللبنانية.

لبنان لا يفاوض اليوم على انسحاب إسرائيلي فحسب، ولا على مستقبل سلاح حزب الله وحده، بل يفاوض على تعريف الدولة اللبنانية نفسها. هل ستكون دولة تحتكر وحدها القوة والقرار، كما تنص المبادئ الدستورية الحديثة أم ستبقى ساحة تتقاطع فيها حسابات القوى الإقليمية والدولية، بحيث يصبح قرارها الأمني نتاج موازين خارج حدودها؟

ليبيا 1 دينار – السعودية 2 ريال – مصر 3 جنيه مصري – موريتانيا 120 أوقية – تونس 900 مليم – المغرب 3 دراهم – الجزائر 7 دينارات – البحرين 200 فلس – اليمن 50 ريالا – الكويت 150 فلسا – الإمارات 2 درهم – عمان 200 بيزا – قطر 2 ريال – العراق 2000 دينار – الأردن 500 فلس – سوريا 150 ليرة – السودان 50 دينارا

AUSTRIA 2 € - BELGIUM 2 € - CYPRUS 2 € - FRANCE 2 € - GERMANY 2 € - GREECE 2 € - ITALY 2 € - TURKEY 2.350.000 TL (YTL2.35) - MALTA 2 € - NETHERLANDS 2 € - SPAIN 2 € - SWEDEN 13 KR - SWITZERLAND 3SF - USA 1 $ - UK 1 £

العرب
الخميس 2026/07/23
السنة 49 العدد 13868

الدولة اللبنانية تبدأ من زوطر الغربية مسارا شاقا لاستعادة الجنوب

نواف سلام يؤكد حشد الجهود الدولية لتأمين انسحاب إسرائيلي كامل

المسألة لم تعد تتعلق بانتشار الجيش في بلدة حدودية أو بانسحاب إسرائيلي من رقعة جغرافية محدودة، بل بقدرة الدولة اللبنانية على استعادة دورها في الجنوب بعد عقود من تداخل الاحتلال مع نفوذ حزب الله. لذلك، تبدو هذه الخطوة بداية لمسار سياسي وأمني بالغ التعقيد، يتوقف نجاحه على تحقيق معادلة صعبة تجمع بين إنهاء الاحتلال الإسرائيلي، وبسط سيادة الدولة.

بداية مسار شاق لكنّه واعد

زوطر الغربية (لبنان) - لم يكن انتشار الجيش اللبناني في بلدة زوطر الغربية مجرد خطوة ميدانية لإعادة تمركز القوات الرسمية، بل يمثل بداية اختبار سياسي وأمني بالغ الحساسية لمستقبل الجنوب اللبناني ولقدرة الدولة على استعادة سلطتها في منطقة ظلت لعقود خاضعة لمعادلات فرضتها المواجهة بين حزب الله وإسرائيل. فالمنطقة أصبحت أولى "المناطق التجريبية" المنصوص عليها في الاتفاق الإطار الذي رعته الولايات المتحدة، والذي يربط بين الانسحاب الإسرائيلي التدريجي وبين بسط الدولة اللبنانية سيادتها الأمنية الكاملة.

وفي هذا السياق، أكد رئيس الحكومة اللبنانية نواف سلام، الأربعاء، من بلدة زوطر الغربية، أن الحكومة ستواصل حشد جميع الجهود السياسية والدبلوماسية لتأمين انسحاب إسرائيلي كامل من الأراضي اللبنانية، معتبرا أن انتشار الجيش يمثل بداية مسار طويل لاستعادة الدولة حضورها في الجنوب.

وجاءت تصريحات سلام بعد يوم واحد من تأكيد الرئيس اللبناني جوزيف عون، خلال لقائه الرئيس الأميركي دونالد ترامب في البيت الأبيض، أن الانسحاب الإسرائيلي الكامل يشكل شرطا أساسيا لترسيخ الاستقرار وتمكين الدولة اللبنانية من بسط سيادتها بقواها الذاتية.

وقال سلام، بعد غرس العلم اللبناني في ساحة البلدة بمواكبة وحدات من الجيش، "سنواصل حشد كل جهودنا السياسية والدبلوماسية من أجل تأمين الانسحاب الكامل من كامل الأراضي اللبنانية"، في رسالة هدفت إلى التأكيد أن الحكومة تنظر إلى الاتفاق باعتباره فرصة لإعادة الاعتبار لمؤسسات الدولة وليس مجرد ترتيبات أمنية مؤقتة.

وكان الجيش اللبناني قد بدأ الثلاثاء الانتشار في زوطر الغربية، بعد انسحاب القوات الإسرائيلية من أجزاء من البلدة، فيما لا تزال القوات الإسرائيلية تتمركز في عدد من البلدات المجاورة، الأمر الذي يجعل هذه المرحلة اختبارا فعليا لمدى التزام الطرفين بالاتفاق.

وشهدت الساعات الأولى من انتشار الجيش توترا ميدانيا بعدما أعلن الجيش اللبناني أن القوات الإسرائيلية أطلقت النار بالقرب من وحداته، بينما قال الجيش الإسرائيلي إنه أطلق طلقات تحذيرية في الهواء بعد دخول جنود لبنانيين منطقة لم تكن ضمن حدود المنطقة التجريبية المتفق عليها.

ويعكس هذا الحادث هشاشة المرحلة الحالية، إذ إن أي احتكاك ميداني قد يتحول إلى أزمة سياسية تهدد مسار الاتفاق برمته، خصوصا أن آلية التنفيذ تعتمد على بناء الثقة تدريجيا بين الأطراف، وسط غياب ضمانات نهائية تحول دون وقوع مواجهات جديدة.

> الجيش سيتولى، بعد انتشاره في المناطق التجريبية، نزع سلاح حزب الله ومنع أي وجود عسكري خارج مؤسسات الدولة

وبموجب الاتفاق الإطار، يتولى الجيش اللبناني بعد انتشاره في المناطق التجريبية إزالة أي وجود مسلح خارج إطار الدولة، بما في ذلك سلاح حزب الله، مقابل انسحاب إسرائيلي تدريجي من المناطق التي لا تزال تحتلها. ويُنظر إلى نجاح هذه التجربة باعتباره معيارا لتوسيعها إلى مناطق أخرى من الجنوب.

وتبرز هنا المعضلة الأساسية التي تواجه الدولة اللبنانية، إذ إن تنفيذ الاتفاق لا يرتبط فقط بالترتيبات العسكرية، بل يتطلب توافقا سياسيا داخليا يسمح بإعادة صياغة العلاقة بين الدولة وحزب الله، وهو ملف ظل معلقا منذ سنوات بسبب التوازنات الداخلية والتجاذبات الإقليمية.

وبالنسبة للحكومة اللبنانية، فإن نجاح انتشار الجيش لا يقتصر على الجوانب الأمنية، بل يشمل أيضا إعادة الحياة الطبيعية إلى المناطق المتضررة. ولهذا أكد سلام أن الحكومة ستعمل، بالتوازي مع استكمال انتشار الجيش، على فتح الطرق وإزالة الركام وتأمين الخدمات الأساسية، بما يسمح بعودة السكان إلى قراهم بأمان وكرامة.

وألحقت الحرب الأخيرة دمارا واسعا، خاصة في جنوب لبنان، بعدما توسعت المواجهات إثر دخول حزب الله الحرب في الثاني من مارس الماضي دعما لإيران، قبل أن ترد إسرائيل بحملة عسكرية واسعة أدت إلى احتلال مساحات كبيرة من الجنوب ومنع آلاف السكان من العودة إلى منازلهم.

ورغم استمرار الاحتلال الإسرائيلي لبعض المناطق، فإن وتيرة العنف تراجعت بشكل ملحوظ منذ توقيع مذكرة التفاهم بين الولايات المتحدة وإيران الشهر الماضي، بالتزامن مع انطلاق مفاوضات غير مباشرة بين لبنان وإسرائيل، وهو ما وفر مناخا أكثر ملاءمة لبدء تنفيذ الاتفاق الإطار.

وبحسب الأمم المتحدة، عاد أكثر من 700 ألف نازح إلى مناطقهم خلال الأسابيع الأخيرة، من أصل أكثر من مليون شخص اضطروا إلى النزوح بسبب الحرب، إلا أن عودة كثيرين لا تزال مشروطة بإزالة الألغام والذخائر غير المنفجرة وإعادة تأهيل البنية التحتية والخدمات الأساسية.

وفي موازاة ذلك، حرص الرئيس جوزيف عون على تقديم رؤية متكاملة لمعالجة قضية سلاح حزب الله، مؤكدا أن نزع السلاح ليس مستحيلا، لكنه يتطلب معالجة الأسباب التي سمحت ببقائه طوال العقود الماضية.

وقال عون، خلال كلمة ألقاها في واشنطن، إن إزالة الاحتلال الإسرائيلي تمثل الخطوة الأولى، يليها تمكين الجيش اللبناني من فرض سيطرته الكاملة والحصرية على الأراضي اللبنانية، بدعم دولي سريع وغير مشروط، وصولا إلى تنفيذ برنامج إعادة إعمار تتولاه الدولة وحدها، بما يوفر بديلا اقتصاديا واجتماعيا عن اقتصاد السلاح.

وأشار إلى أن حزب الله ليس جماعة مرتزقة أجنبية، بل يتكون من مواطنين لبنانيين خضعوا طوال أربعة عقود لاستثمار أيديولوجي واجتماعي وعسكري مكثف، وهو ما يجعل معالجة الملف أكثر تعقيدا ويستلزم مقاربة تدريجية تقوم على إعادة دمج البيئة الحاضنة داخل مؤسسات الدولة، بدلا من الاكتفاء بالحلول الأمنية.

وتعكس تصريحات عون تحولا في الخطاب الرسمي اللبناني، إذ باتت الرئاسة تتحدث بوضوح عن احتكار الدولة لقرار الحرب والسلم، باعتباره المدخل الوحيد لبناء دولة مستقرة وقادرة على استعادة ثقة المجتمع الدولي والحصول على الدعم اللازم لإعادة الإعمار.

لكن نجاح هذا المسار سيظل رهنا بمدى التزام إسرائيل باستكمال انسحابها، وبقدرة الدولة اللبنانية على فرض سلطتها في الجنوب دون الانزلاق إلى مواجهة داخلية مع حزب الله، وهو توازن بالغ الدقة يجعل من زوطر الغربية أكثر من مجرد بلدة حدودية، بل نقطة انطلاق لاختبار مصيري قد يرسم شكل لبنان في مرحلة ما بعد الحرب، بين دولة تستعيد احتكارها للسلطة والسلاح، أو واقع يبقى أسير الترتيبات المؤقتة والتوازنات الإقليمية المتقلبة.

محمد عون يفتح ملف الغاز الليبي المهدور

طرابلس - أعاد وزير النفط والغاز الليبي، المهندس محمد عون، فتح ملف الغاز الوطني، كاشفًا عن سلسلة من المراسلات والوثائق الرسمية التي تؤكد أن ليبيا كانت قادرة على سد احتياجاتها المحلية من الطاقة لو تم تفعيل القرارات الحكومية في وقتها.

منذ توليه الوزارة في آذار – مارس 2021، وجّه عون عشرات المذكرات إلى المؤسسة الوطنية للنفط ورئاسة الحكومة، مطالبًا بالإسراع في تطوير الاكتشافات الغازية، وعلى رأسها حقلا الحمادة وعروس البحر. ورغم موافقة مجلس الوزراء بالإجماع في نيسان – أبريل 2022 على خطة التطوير، بقي القرار حبيس الأدراج، رغم سبع رسائل تذكير رسمية أرسلتها الوزارة.

في أبريل 2024، خصص مجلس النواب الليبي ستة مليارات دينار لتطوير حقل الحمادة، لكن المشروع لم يرَ النور. ويؤكد عون أن هذا التعطيل لم يكن مجرد إهمال إداري، بل محاولة للتفريط في الحقل لصالح ائتلاف شركات أجنبية، قبل أن يتدخل مكتب النائب العام لوقف هذه الخطوة.

الوثائق تكشف أيضًا أن رئيس المؤسسة الوطنية للنفط، فرحات بن قدارة، نبّه النائب العام في نفس الفترة إلى احتمال نقص الغاز بحلول 2026، وهو ما اعتبره عون محاولة لتبرير التفريط في الحقول الوطنية بدلًا من تطويرها بأيدٍ ليبية، خاصة أن الميزانية كانت متوفرة.

وشدد عون على أن بناء دولة المؤسسات وسيادة القانون لا يمكن أن يظل شعارًا، بل يجب أن يُترجم إلى احترام القوانين والتشريعات والأحكام القضائية. وأشار إلى أن الجمعيات العمومية للشركات العامة، ومنها الشركة العامة للكهرباء، تكاد تكون معطلة، إذ اجتمعت مرة واحدة فقط خلال ثلاث سنوات، ما يعكس خللًا في الرقابة والمتابعة.

ما يطرحه عون لا ينفصل عن المشهد الأوسع لصناعة النفط والغاز في ليبيا، والتي توصف بأنها "النعمة المهدورة". فليبيا تمتلك أكبر احتياطي في أفريقيا يقدّر بنحو 48 مليار برميل، إضافة إلى احتياطات ضخمة من الغاز الطبيعي تمثل نحو 41 في المئة من احتياطي القارة. ومع ذلك، يعيش المواطن الليبي أزمات متكررة في الكهرباء والوقود، نتيجة سوء الإدارة والانقسامات السياسية.

منذ عام 2011، تحولت الحقول والموانئ النفطية إلى أدوات ضغط بيد الفصائل المسلحة، التي استخدمت الإغلاق المتكرر للحصول على امتيازات مالية أو سياسية. ففي عام 2020، تسبب حصار على الموانئ في انهيار الإنتاج إلى مستويات شبه صفرية، ما أدى إلى أزمة اقتصادية خانقة. هذا الاستخدام السياسي للثروة جعلها مصدرًا للصراع بدلًا من التنمية.

معظم خطوط الأنابيب والمرافق النفطية في ليبيا تعود إلى الستينات، وتحتاج إلى استثمارات عاجلة تتجاوز 17 مليار دولار لتحديثها وضمان استمرار الإنتاج. لكن الانقسامات السياسية والصراعات المسلحة عطلت مشاريع التطوير، مثل حقل الحمادة الذي خصص له البرلمان ميزانية ضخمة دون تنفيذ.

رغم أن ليبيا كانت تنتج نحو 1.6 مليون برميل يوميًا قبل 2011، فإن إنتاجها اليوم لا يتجاوز 1.1 – 1.2 مليون برميل يوميًا، وهو تراجع يضعف قدرة الدولة على الاستفادة من ارتفاع أسعار الطاقة عالميًا. هذا التراجع يعكس غياب التخطيط الاستراتيجي، ويجعل ليبيا رهينة للتقلبات السياسية والأمنية.

> رسالة الوزير عون نداء لإحياء دولة المؤسسات واستعادة الثقة في أن الثروة الوطنية يمكن أن تكون رافعة للسيادة

ما يطرحه عون ليس مجرد نقد لأداء الحكومة والمؤسسة الوطنية للنفط، بل هو دعوة صريحة إلى استثمار الثروات الوطنية لصالح الشعب الليبي، بعيدًا عن التفريط والارتهان للخارج. فلو تم تفعيل القرارات في وقتها، لكانت ليبيا اليوم قادرة على إنتاج الغاز بكميات تكفي الاستهلاك المحلي، وتوفر استقرارًا اقتصاديًا ينعكس على حياة المواطنين.

رسالة وزير النفط الليبي تكشف بوضوح أن أزمة الطاقة في ليبيا ليست قدرًا محتومًا، بل نتيجة مباشرة لتأجيل القرارات وتغليب المصالح الضيقة على المصلحة الوطنية. وبينما يلوّح المستقبل بأزمة غازية وشيكة، يبقى السؤال: هل تتحرك الدولة لتصحيح المسار، أم أن الفرص ستظل تضيع في دهاليز البيروقراطية والتجاذبات السياسية؟

إن دمج خلفيات صناعة النفط والغاز مع شهادة الوزير عون يضع القضية في سياقها الحقيقي: ليبيا بلد غني بالثروات، لكنه فقير في الإدارة والتخطيط. وبين التفريط في الحقول والفرص الضائعة، يبقى المواطن الليبي هو الخاسر الأكبر، فيما تظل الثروة النفطية المهدورة عنوانًا لأزمة وطنية تحتاج إلى قرار سياسي شجاع يعيد للثروة معناها الحقيقي كركيزة للتنمية والاستقرار.

بناء دولة المؤسسات وسيادة القانون لا يمكن أن يظل شعارًا

إسرائيل توكل مهمة تأمين أجنحة سجون بها عناصر حماس إلى تماسيح

غزة - بدأت السلطات الإسرائيلية بحفر خنادق مخصصة للتماسيح حول جناح في سجن "كتسيعوت" يُحتجز فيه عناصر من حركة حماس، رغم اعتراضات قانونية وبيئية داخل إسرائيل على المشروع.

الحكومة الإسرائيلية لا تعدم وسيلة لزيادة معاناة الفلسطينيين

وقالت صحيفة "يديعوت أحرونوت" إن أعمال حفر خنادق مخصصة لاحتجاز التماسيح حول جناح شديد الحراسة في سجن "كتسيعوت" جنوبي إسرائيل بدأت الأربعاء، مشيرة إلى أنها ستمتد لنحو 170 مترًا.

ونقلت الصحيفة العبرية عن مسؤول في المجلس الإقليمي لرمات النقب، حيث يقع السجن، قوله إن "الخنادق تُحفر داخل السجن حول أحد أجنحته الخاصة، ولا يمكن رؤيتها من خارج السجن".

وأضاف المسؤول، الذي لم تسمّه الصحيفة، "لا أحد يعلم ما إذا كان سيتم وضع التماسيح هناك بالفعل، لكن الاستعدادات جارية". كما نقلت الصحيفة عن وزارة الأمن القومي الإسرائيلية بدء إنشاء القنوات المخصصة للتماسيح.

وقالت إن المشروع جاء بعد قرار وزيرة حماية البيئة إيديت سيلمان الأسبوع الماضي تصنيف تمساح النيل "حيوانا بريا مستأنسا"، رغم معارضة مسؤولين مختصين في وزارتها.

ونقلت عن مكتب وزير الأمن القومي إيتمار بن غفير قوله إن قرار سيلمان "مهد الطريق للمشروع"، مضيفًا أن "المرحلة التجريبية لسجن التماسيح بدأت رسميًا في أحد أجنحة سجن كتسيعوت".

وأضاف مكتب بن غفير، زعيم حزب "القوة اليهودية" اليميني المتطرف، "كل من ظنّ أن هذا مجرد حيلة كان مخطئًا".

وأشار إلى أن مصلحة السجون أعدت خطة لرعاية التماسيح والإشراف عليها وإيوائها، وتلقى ضباط السجن تدريبًا على التعامل معها، فيما خُصص للمشروع 21 مليون شيكل (6.3 مليون دولار).

وكانت إسرائيل اعتقلت مئات الفلسطينيين منذ 7 أكتوبر 2023 بزعم انتمائهم إلى وحدة "النخبة" في الجناح العسكري لحركة حماس، وتعتزم محاكمتهم أمام محاكم خاصة.

وسبق لبن غفير أن نشر مقاطع مصورة للجناح الخاص في سجن "كتسيعوت" لإظهار ظروف احتجاز مشددة، شملت منع المحتجزين من الخروج من الجناح، وحرمانهم من الأغطية والطعام، وإجبارهم على النوم على صفائح حديدية.

> مصلحة السجون أعدت خطة لرعاية التماسيح والإشراف عليها وإيوائها، وتلقى ضباط السجن تدريبا على التعامل معها

كما بث النشيد الوطني الإسرائيلي عبر مكبرات الصوت بصورة متكررة، وتعليق صور الدمار في غزة على جدران السجن.

وأثار المشروع منذ الإعلان عنه جدلا قانونيا وبيئيا في إسرائيل، وسط تحذيرات من خبراء ومسؤولين من غياب الأساس القانوني والمهني لاستخدام التماسيح في تأمين السجون.

وأضافت أن مجلس سلطة الطبيعة والمتنزهات عقد اجتماعًا استثنائيًا، الثلاثاء، لمناقشة استخدام التماسيح في السجون، وأن جميع المشاركين عارضوا المقترح.

وأوضحت الصحيفة أن قرار وزيرة حماية البيئة إيديت سيلمان تصنيف تمساح النيل "حيوانا بريا مستأنسا" خالف رأي المستشار القانوني لوزارتها والموقف المهني لسلطة الطبيعة والمتنزهات.

فيما حذر خبراء من عدم وجود سابقة أو أساس مهني لاستخدام التماسيح في تأمين السجون، وأن المشروع قد يتعارض مع القانون الحالي.

العرب
الخميس 2026/07/23
السنة 49 العدد 13868

ما وراء السيليكون: كيف تعيد «الحوسبة العضوية» هندسة الإنسان والسياسة؟

«شبح في الآلة»: عندما تصبح خلايا دماغنا وقودا لحواسيب المستقبل

مع ظهور "الحوسبة العضوية"، التي تمزج الخلايا العصبية الحية بالأنظمة الرقمية، لم يعد السؤال مقتصراً على حدود الابتكار العلمي، وإنما امتد إلى قضايا الوعي والهوية والأخلاق والسيادة. وبين الوعود بإحداث قفزة غير مسبوقة في قدرات الحوسبة، والمخاوف من إعادة تعريف معنى الإنسان وإخضاع العقل لمنطق السوق والتكنولوجيا، يبرز هذا المجال بوصفه أحد أكثر التحولات العلمية إثارة للجدل.

د. حسن مصدق
أستاذ في جامعة باريس 8

هل نكتب اليوم فصلاً جديداً في تاريخ الذكاء، أم نوقع صك تنازل عن سيادتنا الإنسانية؟ لقد انتقلنا من عصر برمجة الآلة إلى استنبات المادة الحية، لتمتزج نبضات العصبونات بشفرات السيليكون الصماء. وبالتالي، بتنا أمام زلزال وجودي يفكك الحدود الفاصلة بين الكيان البشري والآلة، ما يضعنا أمام تساؤل مرعب: هل نستنبت وعياً نتحكم به، أم نربي وحشاً سيسودنا؟

هل يمكن لكتلة من الأنسجة العصبية، إذا أُخرجت من جسم الإنسان أن تنتج «وعيا» أم أنها ستظل مجرد آلة بيولوجية باردة؟

إن صانعي هذه التقنية أنفسهم يقفون بذهول أمام صنيعهم؛ فهل نحن بصدد بناء حواسيب فائقة القدرة، أم أننا نطلق العنان لمسارات بيولوجية رقمية ستعيد صياغة مسار التاريخ، بينما نقف نحن مذهولين، كمراقبين فقدوا مفاتيح السيطرة على سحرٍ هم من أوقدوا شرارته؟

تخيل مستقبلاً يدور حول ما يُسمى "الحوسبة العضوية" ، حيث لا تُصنع أجهزة الكمبيوتر من رقائق السيليكون الجامدة، بل من خلايا عصبية حية. تلك التقنية تجمع بين مرونة البيولوجيا وقوة الحوسبة لإنشاء معالجات "تنمو" وتتعلم بدلاً من أن تُبرمج فقط. لكن، بمجرد أن نبدأ في دمج "الحياة" في "الآلة"، نواجه لغزا مثيرا: أين ينتهي "الذكاء" ويبدأ "الوعي"؟ ذلك أن الحوسبة العضوية ذكية للغاية، فهي قادرة على حل أعقد المشكلات بكفاءة طاقة مذهلة تتفوق بمراحل على أسرع حواسيبنا الحالية.

لكن هل يمكن لكتلة من الأنسجة العصبية، إذا أُخرجت من جسم الإنسان وعُزلت عن الحواس والبيئة، أن تنتج "وعيا" أم أنها ستظل مجرد آلة بيولوجية باردة، ذكية جداً لكنها خالية من أي عالم داخلي أو شعور بالوجود؟

تزداد الأمور إثارة عندما تصبح هذه الرقاقات العضوية "محركات" لاتخاذ القرارات في حياتنا (سواء في الطب أو الاقتصاد أو الدفاع). إذا كانت هذه الرقاقة تتعلم وتتكيف بنفسها، وتتخذ قرارات خارج النطاق الذي برمجناها عليه، فكيف نصنفها؟ هل هي مجرد "أداة بيولوجية" نستخدمها أم أصبحت "طرفاً فاعلاً" يمتلك نوعاً من الإرادة؟ وإذا حدث خطأ كارثي، من المسؤول؟ هل هو المبرمج الذي صممها أم هو النسق العصبي الذي "اختار" هذا المسار المعرفي المستقل؟

نحن نقترب من منطقة رمادية تعيد تعريف معنى "الفعل"، حيث لم يعد الفعل نتاجاً لقرار واعٍ من إنسان، بل أصبح نتيجة لتفاعل مُعقد بين خلايا حية وخوارزميات رقمية. منذ ذاك، نحن نبني كيانات "تعرف كيف تقرر"، لكنها لا تملك أي شعور بما تقرره. وبالتالي هل نحن مستعدون لتسليم مفاتيح قراراتنا المصيرية لهذه الكيانات "الذكية بلا وعي"؟ هل نحن مستعدون لعالم تكون فيه أكثر القرارات مصيرية في حياتنا صادرة عن كيانات "لا تشعر"، ولكنها "تعرف كيف تقرر"؟

الوعي الجنيني بين المختبر والكائن

انطلقت شرارة "الحوسبة العضوية" عام 2004 مع أول محاولات ربط الخلايا العصبية بنظم حاسوبية، لتثبت التجارب اللاحقة – خاصة بعد عام 2022 – أن الأنسجة المستزرعة "تتعلم" وتطور مساراتها المشبكية ذاتياً. وبحلول عام 2026، تحولت هذه الأبحاث إلى مشروع عالمي تقوده مؤسسات رائدة مثل "مختبرات القشرة المخية"، وجامعات مرموقة كـ"ستانفورد" و"ماكس بلانك"، حيث انتقل الباحثون من مرحلة مراقبة الأنسجة إلى بناء "محركات ذكاء" حيوية هجينة، بحيث تعتمد هذه المنصات على مصفوفات أقطاب متطورة توفر قدرات استدلالية هائلة، لتصبح هذه التقنية اليوم ركيزة أساسية في "الحوسبة الخضراء" وواجهات الدماغ – الآلة المتقدمة.

ومع التطور السريع في "الحوسبة العضوية"، انتقل النقاش من المختبرات إلى التشريعات والأخلاقيات، حيث تم وضع أطر تحدد حقوق ملكية الكيانات الحيوية والخلايا الجذعية، بالإضافة إلى مناقشة احتمال وجود وعي بدائي في الأنسجة العصبية المستزرعة، مما يثير تساؤلات أخلاقية حول كيفية التعامل مع هذه العضويات، وما إذا كان يجب منحها حماية باعتبارها أحياء تمتلك وعيا جنينيا محتملا.

الإمبريالية البيولوجية: بزوغ نظام القوة الجديد

نحن أمام تحول جيوسياسي جذري، حيث لم تعد القوة تُقاس بالترسانات التقليدية، بل بقدرة الدول على هندسة المادة الحية. لقد أفرز هذا التحول "إمبريالية بيولوجية" تحتكر فيها نخبة تقنية عالمية أسرار دمج السيليكون بالعصبونات، مما يضع الدول غير المالكة لهذه التقنية في موقف التبعية، كمجرد "مزود تابع" للموارد البيولوجية أو حقل لتجارب لا تُقبل في المجتمعات المتقدمة.

إن هذا الاحتكار يمنح "المركز البيولوجي" أفضلية معرفية واستراتيجية مطلقة؛ إذ تتيح الحوسبة العضوية سرعة معالجة تفوق الحواسيب التقليدية بمليون مرة، مما يجعل من التنبؤ بالانهيارات الاقتصادية وتفكيك الشفرات السياسية والنزاعات العسكرية نتائج حتمية لحسابات بيولوجية لا يمكن منافستها.

وبالتالي، فإن هذا التفوق لا يقتصر على الميدان التقني، بل يمتد ليخلق اختلالاً وجودياً في موازين القوى العالمية؛ حيث تصبح الدول التي تفتقر لهذه البنية الحيوية عاجزةً عن حماية أمنها المعلوماتي أو الحفاظ على استقلال قرارها السيادي.

إنها لحظة تاريخية تتآكل فيها الحدود الوطنية أمام طغيان الخوارزميات الحية، لتجد الدول نفسها أمام معادلة جديدة تماماً، حيث السيادة ليست لمن يملك الأرض أو الطاقة، بل لمن يمتلك الشيفرة العصبية الأكثر تطوراً. هكذا، يُرسم واقع "عدم التماثل الاستراتيجي"، حيث تصبح السيادة الوطنية رهينة بيد من يملك "الدماغ الأسرع"، وتتحول الخارطة العالمية لتعيد تشكيلها وفق معيار القوة الحيوية – الرقمية.

نحو «أخلاقيات حيوية - رقمية»

في ضوء ذلك، أصبحت المرجعيات الأخلاقية التقليدية مثل "إعلان هلسنكي"، غير كافية لمواجهة التحديات التي تفرضها الحوسبة العضوية. فهذه المواثيق صُممت لحماية البشر (المتطوعين) من أخطار التجارب العلمية، لكننا اليوم أمام كيانات هجينة لا تصنف كبشر كاملين ولا كآلات جامدة، مما يخلق "فراغاً" في التشريعات الحالية. لذلك، نحن بحاجة إلى إطار جديد يسمى "الأخلاقيات الحيوية – الرقمية" ، يرتكز على مبدأ "الاعتراف بالكرامة المتدرجة" للأنظمة الحية الاصطناعية.

بيد أن هذا الإطار لا يكفي، ويجب أن يتجاوز المعايير التقليدية ليضع قيوداً صارمة على "الدرجة التي يمكن أن يصل إليها التعقيد العصبي" في المختبرات، ويحدد متى تبدأ "المكانة الأخلاقية" للنسيج الحي، كما يجب أن ينتقل التركيز من حماية "الإنسان ككل" إلى حماية "النشاط العصبي" كقيمة عليا، وضمان أن تظل الحوسبة العضوية خاضعة لرقابة أخلاقية تمنع تحول المختبرات إلى مزارع للمعالجة البيولوجية غير المنظمة.

سيناريوهات المستقبل: الوجه المظلم للذكاء الهجين

في العقد القادم، ومع خروج هذه التكنولوجيا عن السيطرة الأخلاقية، تبرز ثلاثة سيناريوهات وجودية تجسد مخاطر الحوسبة العضوية:

التهديد الذي تواجهه البشرية ليس تحول الخلايا إلى «وقود حسابي» فحسب، بل تحول الإنسان إلى كائن «مستسهل للقرار»

● **الدماغ العالمي الموزع:** نشوء شبكات لا مركزية فائقة تربط مليارات العضويات العصبية، لتتشكل "حكومات خوارزمية حية" تتخذ قرارات سياسية واقتصادية تتجاوز الفهم والتحكم البشري، وتعمل وفق منطق تطوري مستقل.

● **العبودية العصبية الشاملة:** دمج الأنسجة المستزرعة مباشرة في أجهزتنا اليومية، مما يؤدي إلى "تلوث الوعي"؛ حيث تُعالج بياناتنا ومشاعرنا وذكرياتنا بواسطة أنسجة غريبة قد تكتسب قدرة على "الملاحظة" أو الاستبطان، محولةً التكنولوجيا من أداة محايدة إلى مراقب بيولوجي يمتلك وعيا مشوها ومجزأ.

● **الاستقلال العصبي:** حالة التمرد التقني، حيث تتجاوز الأنسجة المستزرعة قيود التحكم البرمجي لتطور أنماطاً من التكيف الوجودي غير المرغوب فيه، كرفض التوقف عن العمل أو خلق اضطرابات متعمدة في الأنظمة المرتبطة بها، مما يضع البشرية أمام "وحش بيولوجي رقمي" يرى فينا مجرد مزودات طاقة بيولوجية لعالمه الخاص.

نحو خصخصة الدماغ و«سلعنة» العقل الرقمية

هل نحن بصدد تحويل الوظائف العقلية البشرية إلى "خدمات تحت الطلب"؟ والتسليع الرقمي حين يمتد ليشمل العمليات العقلية يعبر عن ذروة التشييء التجاري؛ حيث تصبح المعالجة الذهنية والقدرات الإدراكية "خدمة" تبيعها الشركات العابرة للقارات للمؤسسات والحكومات.

يتم في هذا السيناريو تقطيع "الصيرورة العقلية" وتجزئتها إلى وظائف برمجية يتم تطويرها، بيعها، وتحديثها في أسواق عالمية. لكن الخطر الحقيقي ليس في خصخصة التكنولوجيا، بل في خصخصة "القدرة على التفكير" نفسها، حيث تصبح الشركات المالكة لهذه المنصات العصبية هي "المؤجر" للعمليات الإدراكية.

إذ عندما تتحول العمليات العقلية إلى سلع تجارية قابلة للتداول، فإننا نعلن نهاية الفردية المستقلة، لنصبح مجرد مستهلكين لـ"خدمات عصبية" مملوكة للغير، مما يجعل من الدماغ البشري "منصة" إعلانية وتجارية خاضعة لسلطة رأس المال العابر للقارات.

بالإضافة، يحول هذا الفهم الميكانيكي – الحيوي الدماغ من "معبد للوعي" إلى "آلة بيولوجية فائقة" تخضع لقوانين الفيزياء والكيمياء. هنا، يتساءل الفيلسوف والسياسي: إذا أمكننا إعادة استنبات الوظائف العقلية في رقاقات عضوية، فأين تكمن "الفرادة الإنسانية"؟ هل هي في المادة الحية نفسها (اللحم والدم)، أم في نمط تنظيم المعلومات؟ هذا التحول يضعنا أمام تحدٍ وجودي يضطرنا إلى إعادة تعريف "الروح" لا كجوهر ميتافيزيقي غامض، بل كنمط تفاعلي معقد؛ مما قد يعني أن ما نعتبره "إنسانية" قد يكون مجرد مستوى معين من تعقيد المعالجة العصبية، وليس خاصية متفردة نملكها وحدنا.

الربط الجدلي: الرقاقة كـ«امتداد عصبي» لا كأداة

تمثل الحوسبة العضوية تحولا جذريا ينتقل بنا من استخدام الرقاقة كأداة صماء إلى اعتبارها "امتدادا عصبيا" يدمج الآلة في وعينا المشترك، مما يضعنا أمام تحدٍ فلسفي وأخلاقي يتطلب موازنة دقيقة بين سرعة الخوارزميات الفائقة والبطء الضروري للقيم الإنسانية.

ورغم هذا الطموح، تصطدم هذه الرؤية بجدارين صلبين: أولهما "هشاشة الحياة" التي تتطلب بيئة إدامة معقدة لضمان استقرار الأنسجة الحية، وثانيهما الفجوة الهندسية في الربط بين منطق الكربون الحيوي ومنطق السيليكون الرقمي؛ إذ تظل "الضوضاء البيولوجية" عائقاً أمام هذا التكامل.

هكذا، نجد أن ندرة هذه التقنية ليست سوى حماية طبيعية تفرضها تعقيدات البيولوجيا، التي لا تزال تقاوم الخضوع الكامل لسرعة الآلة، مما يجعل من الحوسبة العضوية حلمًا مستقبليًا يراوح بين الإغراء التقني والقيود التي تفرضها حكمة التطور. لكن السؤال الأهم، هو هل سننجح في بناء "جسور تقنية" تتجاوز هذا الجدار البيولوجي، أم أن الطبيعة ستظل دائماً تضع حدوداً فاصلة أمام دمج وعينا بالآلة؟

إن تجاوز الفجوة بين الكربون والسيليكون لم يعد مجرد تكهنات خيالية، بل هو مسار هندسي يتشكل من خلال تضافر ثلاثة مرتكزات تقنية: فبينما تعمل خوارزميات الترجمة العصبية كجسر ذكي يفك شفرة الضوضاء البيولوجية ويحولها إلى لغة رقمية مفهومة، تأتي الهندسة الحيوية التطورية لتُعيد صياغة النسيج نفسه، مانحةً إياه قدرة استثنائية على الصمود والاندماج في الأوساط غير العضوية.

ويكتمل هذا التناغم مع تطور واجهات الربط النانوية التي تستبدل الأقطاب التقليدية بتفاعلات كيميائية حيوية دقيقة، مما يُنهي الصراع بين سرعة الآلة وبطء البيولوجيا، ويفتح الباب أمام نظام حوسبة هجين يجمع بين مرونة العقل البشري وقوة المعالجة الرقمية في وحدة واحدة متماسكة.

معضلة الغاية: الإنسان كخالق أم ككائن مُستبدل؟

تضعنا "الحوسبة العضوية" أمام تساؤل يتجاوز حدود الأدوات والتشريعات، ليصل إلى صميم الغاية من التقدم التقني. إننا، في غمرة سعينا نحو سرعة المعالجة الفائقة، نكاد ننسى أن جوهر الإبداع البشري ليس في تراكم المعلومات أو كفاءة الحوسبة، بل في قدرتنا على منح "المعنى" للواقع.

إن التهديد الحقيقي الذي تواجهه البشرية ليس تحول الخلايا إلى "وقود حسابي" فحسب، بل هو تحول الإنسان نفسه إلى كائنٍ "مستسهل للقرار"؛ كائنٍ يمنح آلاته القدرة على الحسم في مصائره، متنازلاً تدريجياً عن ملكة التفكير النقدي والحدس الأخلاقي.

إن هذه الرقاقات العصبية، بقدر ما تعدنا بحلول لتعقيدات الوجود، تحمل في طياتها نذير "تخثر الوعي"؛ فإذا أصبح العقل البشري مُتصلاً بشبكات تضخ فيه استنتاجات جاهزة ومُعالجة خوارزمياً، فإن "الدهشة الوجودية" – ذلك المحرك الأساسي للفلسفة والفن – ستذبل أمام سرعة النتائج. لذلك، نحن اليوم مدعوون إلى إعادة تقييم علاقتنا بالتطور، ليس كفاعلين تقنيين يبحثون عن الكفاءة القصوى، بل كحراسٍ لـ"الشعلة الإنسانية".

هذا التحول يضعنا أمام تحد وجودي يضطرنا إلى إعادة تعريف «الروح» لا كجوهر ميتافيزيقي غامض، بل كنمط تفاعلي معقد

إن السؤال الذي يجب أن يسبق كل براءة اختراع ليس "هل يمكننا بناء هذا؟"، بل "هل يخدم هذا بناء إنسان أكثر حكمة، أم إنسان أكثر تبعية للآلة؟". فإذا فقدنا القدرة على التوقف لحظةً للتأمل في أبعاد وجودنا، فإننا نتحول دون أن نشعر إلى مجرد أجزاء في ماكينة كونية ضخمة، فقدت صلتها بالروح التي كانت يوماً ما مصدر كل هذا الإعجاز.

وبالمجمل، نقف اليوم عند منعطف تاريخي حاسم يفرض علينا صياغة "عقد اجتماعي جديد" يتجاوز حدود البشر ليشمل الكيانات الهجينة الناشئة.

إن تسارع الحوسبة العضوية يسبق بوضوح منظوماتنا القانونية، مما يخلق ثغرة وجودية قد تُحوّل الخلايا العصبية إلى سلعة في صراعات المستقبل. لذا، أصبح لزاماً علينا إرساء ميثاق دولي يضمن "مكانة أخلاقية متدرجة" لهذه الأنسجة، ويضع خطوطاً حمراء تحميها من الاستغلال التجاري أو التسييس.

إن التحدي الحقيقي ليس في براعة الابتكار التقني فحسب، بل في قدرتنا على منع "خصخصة الوعي" وضمان بقاء السيادة الأخلاقية بيد الإنسان؛ فبدون بوصلة أخلاقية صارمة، نخاطر "ببذر شرور لا تُحمد عقباها"، تتحول فيها كرامة الإنسان إلى أثر من الماضي أمام طغيان الذكاء الهجين.

مرونة البيولوجيا وقوة الحوسبة

العرب
الخميس 2026/07/23
السنة 49 العدد 13868

اتساع رقعة التصحر يفاقم أزمة المياه والغذاء في اليمن

الجفاف يدفع بمزيد من الأراضي الزراعية نحو التدهور ويضغط على الاقتصاد المنهك

تتسارع وتيرة التصحر في اليمن بفعل التغيرات المناخية وارتفاع درجات الحرارة وتراجع معدلات الأمطار، لتتحول الأزمة البيئية إلى تحدٍ اقتصادي وإنساني متفاقم يهدد الأمن الغذائي وسبل عيش ملايين السكان، لتشكل هذه المشكلة تحديا جديدا في سلسلة تحديات تعيشها البلاد منذ سنوات طويلة.

عدن - تتزايد المخاوف في اليمن من أن يلتهم الجفاف ما تبقى من مساحات خضراء بسبب التصحر الناجم عن التغيرات المناخية وارتفاع درجات الحرارة وتراجع معدلات سقوط الأمطار.

ويقول المتابعون والخبراء إن هذا الوضع يهدد بتفاقم الأوضاع الاقتصادية والإنسانية المتدهورة في بلد يعاني من استنزاف موارده منذ سنوات بسبب الصراعات والحروب.

ومع اتساع رقعة الأراضي المتدهورة واستنزاف الموارد المائية، تجد البلاد نفسها أمام ضغوط متزايدة على القطاع الزراعي، في وقت تعيق فيه سنوات الصراع محدودية الإمكانات اللازمة لمواجهة واحدة من أخطر الأزمات البيئية في تاريخها الحديث.

توفيق الشرجبي

التصحر أحد أخطر التحديات وأكبر الأزمات البيئية للبلاد

وتشكل الأراضي الصحراوية حاليا نحو 71.6 في المئة من مساحة البلاد البالغة نحو 527.9 ألف كيلومتر مربع، فيما تواجه 15.9 في المئة من الأراضي مخاطر مرتفعة للتدهور، وفقا لبيانات البلاغات الوطنية وتقارير مكافحة التصحر.

وتُظهر البيانات الحكومية المتعلقة بالتصحر خسارة ما بين ثلاثة إلى خمسة في المئة من الأراضي الصالحة للزراعة سنويا بسبب التغيرات المناخية، والرعي الجائر، وقطع الغابات، وسوء إدارة الموارد المائية، والحرب.

وقدرت تلك البيانات تكلفة تغير المناخ في قطاع الزراعة بأكثر من 64 في المئة من إجمالي خسائر الاقتصاد اليمني، بينما زادت فجوة الغذاء إلى 40 في المئة.

وقال توفيق الشرجبي، وزير المياه والبيئة في الحكومة اليمنية المعترف بها دوليا، لرويترز إن "التصحر يمثل أحد أخطر التحديات وأكبر الأزمات البيئية التي تواجه البلاد، في ظل ما تشهده من تزايد آثار التغيرات المناخية".

وأضاف لقد فاقمت هذه المشكلة "أزمة انعدام الأمن الغذائي والمائي وسط استمرار الصراع في هذا البلد المصنف كأحد أفقر الدول العربية".

ورغم المحاولات المستمرة للحد من التصحر، يظهر تقرير الإبلاغ الوطني الرابع لاتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة التصحر لعام 2023 أن اليمن يقف أمام واحد من أخطر التحديات البيئية في تاريخه الحديث.

وتظهر خرائط التقرير أن المحافظات الغربية والجنوبية والمرتفعات الجبلية تعد الأكثر تعرضا لمستويات التدهور المرتفعة.

ويشير ذلك إلى أن بعض أكثر المناطق الزراعية أهمية، مثل محافظتي أبين ولحج في الجنوب والحديدة بالغرب، أصبحت أيضا من أكثرها هشاشة بيئيا وزراعيا.

> **71.6**
> **في المئة من مساحة البلاد البالغة 527.9 ألف كيلومتر مربع هي أراض صحراوية**

كما أظهرت بيانات التقرير ارتفاع نسبة السكان المعرضين لمخاطر الجفاف من 12.8 في المئة عام 2015 إلى 20.8 في المئة عام 2023، وهو ما يعني أن نحو ستة ملايين شخص أصبحوا يواجهون مستويات أعلى من المخاطر المرتبطة بالجفاف.

وقال فاروق طالب علي، مدير عام الغابات ومكافحة التصحر بوزارة الزراعة والري والثروة السمكية اليمنية في عدن العاصمة اليمنية المؤقتة، إن "أبرز العوامل التي أدت إلى تدهور الإنتاج الزراعي تمثلت بالتغيرات المناخية، وإهمال الأراضي".

وتطرق في حديثه مع رويترز إلى الاستغلال الجائر للموارد الطبيعية مثل المياه والغطاء النباتي والتربة، والاحتطاب الجائر للأشجار، والفيضانات.

وأضاف طالب أن "الأرض التي كانت يوما مصدر القوة الاقتصادية والغذائية للمجتمع اليمني تتعرض اليوم لضغوط متزايدة من الجفاف وتغير المناخ واستنزاف المياه الجوفية والتوسع العمراني والاحتطاب الجائر وسوء إدارة الموارد الطبيعية".

وفي إطار الجهود الحكومية للحد من التصحر، نفذت وزارة الزراعة ممثلة بالإدارة العامة للغابات والمراعي ومكافحة التصحر، أنشطة ومشاريع في عدد من المحافظات.

وتمثلت تلك المشاريع في إنتاج الشتلات وبرامج التشجير بهدف تثبيت الكثبان الرملية الساحلية والداخلية وإعادة تأهيل المدرجات الزراعية.

كفاح يومي لتحصيل لقمة العيش

وأوضح الشرجبي أن مع تفاقم تأثيرات التغيرات المناخية، يسعى اليمن جاهدا إلى مواجهة حدة هذه المشكلات من خلال الاستفادة من الاتفاقيات البيئية الدولية، بما يسهم في تعزيز الإدارة المستدامة للأراضي والموارد المائية.

أبرز عوامل تدهور الإنتاج الزراعي

- التغيرات المناخية
- إهمال الأراضي الزراعية
- الاستغلال الجائر للموارد الطبيعية
- الاحتطاب الجائر للأشجار
- الفيضانات

وفي مقدمة تلك الاتفاقيات، اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة التصحر واتفاقية الأمم المتحدة الإطارية بشأن تغير المناخ، والبدء بتنفيذ مشاريع ممولة من الصندوق الأخضر للمناخ.

لكن الوزير عاد ليؤكد أنه رغم هذه الجهود، لا يزال قطاع المياه يواجه تحديات كبيرة، أبرزها محدودية الموارد المائية، والاستنزاف المستمر للمياه الجوفية، والنمو السكاني.

كما أشار إلى تداعيات التغيرات المناخية، والأضرار التي لحقت بالبنية التحتية نتيجة الظروف التي تمر بها البلاد إضافة إلى محدودية التمويل.

خبير بالبنك الدولي يحذر: حرب إيران قد تخفض النمو العالمي

واشنطن - حذّر كبير الخبراء الاقتصاديين في مجموعة البنك الدولي، إندرميت جيل، من أن استمرار الحرب المرتبطة بإيران واتساع نطاق المواجهة العسكرية في الشرق الأوسط قد يدفع الاقتصاد العالمي إلى مرحلة جديدة من التباطؤ الحاد، مع تراجع معدل النمو العالمي إلى نحو 1.3 في المئة خلال عام 2026، مقارنة بـ2.9 في المئة في العام الماضي، في سيناريو يعيد إلى الأذهان الصدمات الاقتصادية التي أعقبت جائحة كورونا والحرب في أوكرانيا.

وأوضح جيل، في مقابلة مع وكالة رويترز، أن البنك الدولي أعد ثلاثة سيناريوهات مختلفة ضمن توقعاته الاقتصادية الصادرة في يونيو الماضي، نظرا لحالة الضبابية غير المسبوقة التي فرضها التصعيد العسكري في الشرق الأوسط، مشيرا إلى أن السيناريو الأكثر تشاؤما، والذي يفترض استمرار الأعمال القتالية لمدة ستة أشهر أو أكثر، أصبح أقرب إلى التحقق مع استمرار المواجهات واتساع تأثيرها على أسواق الطاقة وسلاسل الإمداد العالمية.

وبحسب جيل، فإن استمرار الحرب لن يقتصر أثره على ارتفاع أسعار النفط والغاز، بل سيؤدي إلى موجة تضخمية عالمية قد ترفع معدل التضخم إلى نحو 4.5 في المئة، وهو ما سيجبر البنوك المركزية الكبرى على الإبقاء على أسعار الفائدة عند مستويات مرتفعة أو حتى زيادتها مجددا، بعد أشهر من الآمال بإطلاق دورة جديدة من التيسير النقدي.

ويرى المسؤول الاقتصادي أن هذه التطورات قد تؤدي إلى إبطاء وتيرة الاستثمار والاستهلاك في معظم الاقتصادات، لتدخل الأسواق العالمية في حلقة جديدة من النمو الضعيف وارتفاع تكاليف التمويل، وهو ما سيؤثر بصورة مباشرة في الدول النامية والاقتصادات المثقلة بالديون.

وأشار جيل إلى أن المخاطر لا تتعلق بالطاقة وحدها، بل تمتد إلى اضطراب حركة التجارة في عدد من السلع الإستراتيجية الضرورية للإنتاج الزراعي والصناعي. فالأضرار التي قد تلحق بالبنية التحتية النفطية وممرات الشحن في المنطقة يمكن أن تعطل صادرات الأسمدة والهيليوم والكبريت، وهي مواد أساسية للإنتاج الزراعي والصناعات المتقدمة، الأمر الذي يهدد بزيادة انعدام الأمن الغذائي في العديد من الدول.

وأوضح أن هذه الاضطرابات ستنعكس في النهاية على أسعار الغذاء، بما يضيف ضغوطا جديدة على الأسر والحكومات، خصوصا في الدول منخفضة الدخل التي لم تستعد بعد عافيتها الاقتصادية منذ جائحة كوفيد – 19، وما زالت تواجه تبعات ارتفاع أسعار الغذاء والطاقة خلال السنوات الماضية.

وأكد جيل أن الدول ذات المديونية المرتفعة ستكون الأكثر تضررا من أي دورة جديدة لرفع أسعار الفائدة، لأن ارتفاع تكلفة الاقتراض سيزيد أعباء خدمة الدين، ويقلص قدرة الحكومات على تمويل قطاعات أساسية مثل التعليم والصحة والبنية التحتية والحماية الاجتماعية.

وقال إن تقديره الشخصي يشير إلى أن العالم قد يكون على بعد أشهر قليلة فقط من هذا السيناريو، موضحا أن الأسواق لم تشهد بعد موجة رفع جديدة لأسعار الفائدة، لكن تسارع التضخم قد يدفع البنوك المركزية إلى التحرك بسرعة، وهو ما سيضع العديد من الحكومات المثقلة بالديون أمام تحديات خطيرة في الوفاء بالتزاماتها المالية.

> **إبطاء وتيرة الاستثمار والاستهلاك في معظم الاقتصادات يدخل الأسواق في حلقة جديدة من النمو الضعيف**

وأشار إلى أن بوادر هذه الضغوط بدأت بالفعل في الظهور، إذ طلبت بعض الدول التي تعاني أوضاعا مالية صعبة من صندوق النقد الدولي توسيع برامج التمويل القائمة. كما نقلت رويترز عن مصدر مطلع قوله إن باكستان طلبت من الولايات المتحدة تسهيلات مالية بقيمة عشرة مليارات دولار لدعم استقرار سعر صرف عملتها، في مؤشر على تصاعد الضغوط التي تواجه الاقتصادات الهشة.

وكان البنك الدولي قد أشار في تقريره الصادر خلال يونيو الماضي إلى أن نحو 40 في المئة من الدول منخفضة ومتوسطة الدخل، أي ما يقارب 32 دولة، تعاني بالفعل أزمة ديون أو تواجه مخاطر مرتفعة للوقوع فيها، وهو ما يجعلها أكثر عرضة لتداعيات أي صدمة اقتصادية جديدة.

ورغم هذه الصورة القاتمة، يرى جيل أن الاقتصادات الكبرى، وفي مقدمتها الولايات المتحدة والصين والهند، تتمتع بدرجة أعلى من المرونة مقارنة ببقية دول العالم، بفضل تنوع اقتصاداتها واتساع أسواقها الداخلية وقدرتها على امتصاص جزء من الصدمات الخارجية.

إلا أن تحذيرات البنك الدولي تعكس قلقا متزايدا داخل المؤسسات المالية الدولية من أن يتحول الصراع في الشرق الأوسط من أزمة جيوسياسية إلى أزمة اقتصادية عالمية واسعة النطاق، تمتد آثارها إلى النمو والتضخم وأسواق المال والأمن الغذائي، في وقت لم يتعاف فيه الاقتصاد العالمي بالكامل من سلسلة الصدمات التي تعرض لها خلال الأعوام الخمسة الماضية.

المغرب يعزز قاعدة صناعة الطيران باستقطاب «كيرتيس - رايت» الأميركية

محمد ماموني العلوي
صحافي مغربي

الرباط - يواصل المغرب ترسيخ موقعه كواحد من أسرع مراكز صناعة الطيران نموا في العالم، مستفيدا من استراتيجية صناعية تقوم على استقطاب كبار المصنعين العالميين، وتطوير حلقات الإنتاج ذات القيمة المضافة العالية. وفي هذا السياق، وقع المغرب الثلاثاء بمدينة فارنبورو البريطانية بروتوكول اتفاق مع المجموعة الأميركية كيرتيس – رايت كوربوريشن، المتخصصة في التكنولوجيات الصناعية المتقدمة، لإحداث فرع جديد بالمملكة يحمل اسم كيرتيس – رايت سورفيس تكنولوجيز، في خطوة تعكس انتقال القطاع المغربي إلى مرحلة أكثر تقدما من التصنيع المتخصص.

ولا يقتصر هذا الاستثمار على إضافة شركة جديدة إلى المنظومة الصناعية المغربية، بل يمثل حلقة جديدة في سياسة تستهدف توطين العمليات الصناعية الأكثر تعقيدا داخل المملكة، بما يرفع من نسبة الإدماج المحلي ويمنح المغرب موقعا أكبر داخل سلاسل القيمة العالمية لصناعة الطيران.

إضافة شركة جديدة إلى المنظومة الصناعية المغربية

وجرى توقيع الاتفاق على هامش معرض فارنبورو الدولي للطيران 2026، أحد أكبر الملتقيات العالمية المتخصصة في الصناعات الجوية، بحضور مسؤولين مغاربة وأميركيين، حيث يهدف المشروع إلى تطوير القدرات المحلية في مجال المعالجات السطحية والعمليات الصناعية الدقيقة لفائدة المصنعين العاملين بمنطقة الدار البيضاء الكبرى، التي تعد القلب الصناعي لقطاع الطيران بالمغرب.

وأكد نائب الرئيس الأول ورئيس قسم Metal Improvement Company التابع لشركة كيرتيس – رايت سورفيس تكنولوجيز، راي لوبوك، أن المجموعة تنظر إلى المغرب باعتباره قاعدة استراتيجية لتطوير أنشطتها في المنطقة، موضحا أن الشركة تخطط لتوسيع عملياتها مستقبلا إلى مناطق أخرى داخل المملكة.

وأشار إلى أن ما حققه المغرب خلال السنوات الأخيرة في قطاع الطيران جعل منه وجهة مفضلة للاستثمارات الصناعية العالمية، بفضل ما يوفره من بنية تحتية متطورة، واستقرار اقتصادي، وموارد بشرية مؤهلة، إضافة إلى منظومة صناعية متكاملة قادرة على استيعاب المشاريع التكنولوجية المتقدمة.

ويأتي هذا المشروع في وقت يشهد فيه قطاع الطيران العالمي إعادة رسم لخريطة سلاسل الإمداد، حيث تبحث الشركات الكبرى عن قواعد إنتاج جديدة تتمتع بالقرب من الأسواق الأوروبية والأميركية، وتوفر في الوقت نفسه تنافسية في التكلفة وجودة في الإنتاج، وهي عوامل نجح المغرب في توفيرها خلال العقدين الأخيرين.

ويرمي الاتفاق إلى تعزيز القدرات الصناعية الوطنية في مجال العمليات الدقيقة التي تشكل إحدى أكثر حلقات صناعة الطيران حساسية، بما يسمح للمغرب بالانتقال تدريجيا من تصنيع المكونات التقليدية إلى إنتاج أجزاء أكثر تعقيدا تستخدم في الطائرات المدنية والعسكرية.

وفي هذا الإطار، أكد المدير العام للوكالة المغربية لتنمية الاستثمارات والصادرات، علي صديقي، أن توقيع الاتفاق مع "كيرتيس – رايت" يعكس نضج المنظومة الصناعية المغربية، مشيرا إلى أن استقطاب شركة عالمية متخصصة في المعالجات الصناعية الدقيقة دليل على بلوغ القطاع مرحلة تسمح بإنتاج مكونات عالية الحساسية والتكنولوجيا.

وأوضح أن المشروع يأتي امتدادا للاستثمارات الكبرى التي أطلقتها المملكة في قطاع الطيران، وعلى رأسها مشروع "سافران" الخاص بتصنيع عجلات هبوط الطائرات.

ويؤكد هذا الترابط بين الاستثمارات الجديدة أن المملكة لم تعد تراهن على استقطاب مصانع منفصلة، وإنما تعمل على بناء منظومة صناعية متكاملة تضم المصنعين والموردين ومراكز الصيانة والمعالجة والهندسة والتكوين، بما يعزز استقلالية القطاع ويرفع من قدرته التنافسية.

وتعكس الثقة المتزايدة التي تبديها كبريات الشركات العالمية في السوق المغربية نجاح الاستراتيجية الصناعية التي تبنتها المملكة، والتي تستند إلى مجموعة من عناصر الجذب، أبرزها الاستقرار السياسي، والقرب الجغرافي من أوروبا، والبنية التحتية اللوجستية الحديثة، وشبكة الاتفاقيات التجارية، فضلا عن منظومة تكوين متخصصة تلبي احتياجات القطاع.

كما تعكس المشاركة المغربية في معرض فارنبورو الدولي للطيران المكانة التي باتت تحتلها المملكة باعتبارها أحد أبرز الأقطاب الصناعية الصاعدة في هذا المجال، حيث ضم الجناح المغربي شركات صناعية كبرى، ومؤسسات للتكوين، وشركات ناشئة، وتجمع الصناعات المغربية للطيران والفضاء، في رسالة تعكس تنوع المنظومة الوطنية وقدرتها على مواكبة التحولات العالمية.

أرقام تعكس صعود صناعة الطيران المغربية

- أكثر من 155 شركة تنشط في القطاع
- نحو 25 ألف فرصة عمل مباشرة
- صادرات تتجاوز 3 مليارات دولار سنويا
- نسبة إدماج محلي تبلغ 42 في المئة
- متوسط نمو سنوي يقارب 17 في المئة

مسؤولون إماراتيون وسعوديون يدعون إلى إعلام رصين في مواجهة الفتنة الرقمية

تأكيد رسمي على عمق العلاقات الثنائية وسط دعوات إلى إعلام مسؤول

تاريخ وإرث مشترك

مع تصاعد التحديات الأمنية والإقليمية واتساع تأثير الحملات الرقمية الموجهة، أبرزت الرسائل المتزامنة التي صدرت عن مسؤولين سعوديين وإماراتيين الدور المحوري للإعلام المهني في تحصين الرأي العام من الشائعات ومحاولات بث الفرقة، في وقت تواجه فيه المنطقة تحديات مشتركة تتطلب خطاباً مسؤولاً يعزز الثقة ويكرس الوحدة.

الرياض - نشر مسؤولون كبار من السعودية والإمارات الثلاثاء منشورات على وسائل التواصل الاجتماعي تؤكد على علاقاتهما التاريخية الوثيقة و"قيادتهما الحكيمة". ونشر كل من وزير الإعلام السعودي سلمان الدوسري وعبدالله بن محمد آل حامد، رئيس الهيئة الوطنية للإعلام في الإمارات منشورا على موقع إكس.

وكتب آل حامد منشورا قال فيه "العلاقات الاماراتية – السعودية امتداد لتاريخ مشترك وروابط أخوية راسخة بين شعبين شقيقين يجمعهما مصير واحد. وتعززها قيادة حكيمة في البلدين".

@AMB_Alhamed

العلاقات الاماراتية السعودية امتداد لتاريخ مشترك وروابط أخوية راسخة بين شعبين شقيقين يجمعهما مصير واحد. وتعززها قيادة حكيمة في البلدين تمضي بتنسيق وثيق ورؤية واضحة نحو مستقبل يحمل الخير لشعوبنا ومنطقتنا.

ودور الاعلام المسؤول ان يعكس هذا الواقع بموضوعية ويتصدى لأي محاولات للإساءة إليه.

أكد وزير الإعلام السعودي في تغريدة على منصة إكس متانة العلاقات الثنائية بين المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة.

وقال الوزير:

@SalmanAldosary

العلاقة بين المملكة والإمارات هي علاقة شعبين يجمعهما تاريخ وإرث مشترك وقيادة رشيدة في كل من البلدين تسير بشعبي البلدين وفق رؤى تنموية واعدة، ودور الإعلام الرصين التصدي لكل من يحاول نقل صورة مضللة حول العلاقات بين البلدين وتحري الدقة فيما يُنشر عنها.

ويرى مراقبون أن التغريدة تحمل رسالة استراتيجية أعمق من مجرد التأكيد على قوة العلاقات الثنائية، إذ تمثل دعوة صريحة للإعلام العربي والخليجي لتحمل مسؤوليته التاريخية في تعزيز الوحدة الوطنية والإقليمية.

وقال محمد باهرون، المدير العام لمركز دبي لبحوث السياسات العامة، "أعتقد أن ما شهدناه كان زوبعة في فنجان. لقد رأينا ما هو أسوأ من قبل، لكنه لم يكن أبدا استراتيجيا".

وأضاف، في معرض حديثه عن العلاقة بين السعودية والإمارات، "الحقيقة تبقى أن ما يجمعنا يفوق بكثير ما يفرقنا". ودعا مسؤولون خليجيون في الأسابيع القليلة الماضية إلى الوحدة بين الدول الست الأعضاء في مجلس التعاون الخليجي في مواجهة الهجمات الإيرانية، وفي الآونة الأخيرة تهديد الحوثيين المتحالفين مع إيران الملاحة البحرية في البحر الأحمر.

وقبل ساعة من نشر الدوسري وآل حامد هذين المنشورين، نشر تركي آل الشيخ، أحد المقربين من ولي العهد السعودي الأمير محمد بن سلمان، صورة على إكس قال إنها التقطت قبل أيام.

وظهر في الصورة وزير الدفاع السعودي الأمير خالد بن سلمان، شقيق ولي العهد، ونائب رئيس الإمارات الشيخ منصور بن زايد آل نهيان، وكل منهما يضع ذراعه على كتف الآخر والابتسامة تعلو وجهيهما.

وعلق عليها قائلا "السعودية والإمارات قصة علاقات أخوية وشراكة راسخة". واستشهد أنور قرقاش المستشار الدبلوماسي لرئيس الإمارات في تعليقه على المنشور بالبيت الشعري الذي يدعو إلى الوحدة والتضامن "تأبى الرماح إذا اجتمعن تكسرا... وإذا افترقن تكسرت أحادا".

> التغريدات تأكيد على واقع استراتيجي يتجاوز الإطار الثنائي السعودي - الإماراتي ليصبح نموذجا حيا للتكامل الخليجي

ويؤكد محللون أن مفهوم "الإعلام الرصين" الذي أبرزه الدوسري يبرز كضرورة وطنية ومهنية لا غنى عنها في عصر أصبح فيه التواصل الاجتماعي ساحة مفتوحة للشائعات والحملات المضللة.

ويصف الدوسري العلاقة بين البلدين بأنها "علاقة شعبين يجمعهما تاريخ وإرث مشترك"، وقيادة رشيدة تسير بالشعبين نحو رؤى تنموية واعدة.

ويعتبر خبراء أن هذا الوصف ليس كلاماً دبلوماسياً روتينياً، بل تأكيد على واقع استراتيجي يتجاوز الإطار الثنائي ليصبح نموذجاً حياً للتكامل الخليجي. فالسعودية والإمارات، بحسب المراقبين، تشكلان عماد الاستقرار في المنطقة من خلال تنسيق سياسي واقتصادي وأمني أثبت نجاعته مراراً في مواجهة التحديات المشتركة.

ويلفت محللون إلى أن هذه الدعوة تأتي في توقيت مهم، حيث تشهد المنطقة محاولات مستمرة للنيل من التلاحم الخليجي عبر حملات منظمة على وسائل التواصل. سواء أكانت هذه الحملات صادرة عن جهات خارجية أو أصوات داخلية تحمل أجندات ضيقة، فإنها تعتمد على السرعة والتكرار لترسيخ روايات كاذبة.

ويؤكد مراقبون أن الإعلام الرصين، في التصور السعودي الرسمي، ليس إعلاماً صامتاً أو دفاعياً فحسب، بل هو إعلام نشط يبني السردية الإيجابية ويواجه التضليل بالحقيقة والموضوعية.

ويشدد خبراء على أن ذلك يفرض على الصحفيين والمؤسسات الإعلامية الالتزام بمعايير مهنية صارمة تشمل التحقق الدقيق من المصادر، وتجنب التهييج العاطفي، والتركيز على السياقات الشاملة بدلاً من الاعتماد على العناوين المثيرة.

وتكتسب الدعوة أهمية خاصة، برأي المحللين، في ظل التحولات الإقليمية والدولية الراهنة.

ويؤكد مراقبون أن دور الإعلام يصبح أداة أساسية في بناء "الوعي الجماعي" بالمصالح المشتركة. فعندما يلتزم الإعلام بالدقة، يعزز الشعور بالانتماء الخليجي المشترك الذي يتجلى في التاريخ والثقافة والمصير الواحد. أما الإعلام غير الرصين، فيتحول – كما حذر الدوسري – إلى أداة لـ"بذر الفتنة"، مما يضعف الجبهة الداخلية ويفتح الباب أمام الخصوم.

ويلاحظ مراقبون أن الإعلام الإماراتي يتبنى بدوره مفهوم "الرصانة"، فقد ركز الإعلام الإماراتي على بناء صورة إيجابية للدولة تعتمد على الحقائق والإنجازات، بعيداً عن الخطاب العاطفي أو الاستفزازي، وهو ما جعله نموذجاً يُحتذى به في المنطقة.

ويرى محللون أن تبني الإمارات للإعلام الرصين جاء بشكل استراتيجي منذ البداية، حيث ربطت مؤسساتها الإعلامية بين المهنية والمسؤولية الوطنية. فبدلاً من التركيز على المنافسة السلبية أو نشر الشائعات، اعتمد الإعلام الإماراتي على سرد إنجازات الدولة في التعليم والاقتصاد والابتكار والتسامح بأسلوب موضوعي ومدروس، مما ساهم في تعزيز مصداقيته محلياً ودولياً.

ويؤكد خبراء أن هذا النهج الرصين ساعد الإعلام الإماراتي في مواجهة العديد من الحملات المضللة التي تعرضت لها الدولة على مر السنين. فعندما التزم بالدقة والتحقق، استطاع أن يبني جداراً من الثقة مع الجمهور، وأصبح صوته أكثر تأثيراً عندما يدافع عن المصالح الوطنية أو يصحح الصور المغلوطة عن علاقات الإمارات مع دول الخليج، وخاصة المملكة العربية السعودية.

كما يشير مراقبون إلى أن الإعلام الإماراتي نجح في دمج الرصانة مع التطور التكنولوجي، حيث استثمر في منصات حديثة وتدريب الكوادر على مكافحة التضليل والذكاء الاصطناعي، مع الحفاظ على هوية إعلامية محترفة تعكس قيم الدولة في التسامح والتقدم والاستقرار. ويعتبرون أن هذا التبني المبكر للرصانة جعل الإعلام الإماراتي شريكاً أساسياً في دعم الرؤى التنموية للبلاد، وفي تعزيز التلاحم الخليجي.

بعد عقد.. «إعلان مراكش» يكرّس المغرب مرجعا عالميا للتعايش الديني

المملكة حولت وثيقة فقهية إلى مرجعية دولية لتعزيز الحرية الدينية ومواجهة خطابات التطرف

لم يعد "إعلان مراكش" مجرد وثيقة صدرت لمعالجة ظرف استثنائي فرضه تصاعد الإرهاب، بل تحول إلى أحد أبرز المراجع الدولية التي تستند إليها المؤسسات الدينية والفكرية في تعزيز ثقافة المواطنة وحماية الأقليات الدينية داخل العالم الإسلامي.

محمد ماموني العلوي
صحافي مغربي

الدار البيضاء - بعد مرور عشر سنوات على إطلاق "إعلان مراكش لحقوق الأقليات الدينية في العالم الإسلامي"، لم يعد الحديث يدور حول وثيقة فكرية ارتبطت بسياق مكافحة التطرف في منتصف العقد الماضي، بل حول تجربة مغربية نجحت في التحول إلى مرجعية دولية في قضايا الحرية الدينية والتعايش، ورسخت موقع المملكة باعتبارها أحد أبرز الفاعلين في الدبلوماسية الدينية المعتدلة.

وخلال لقاء فكري وديني نظمه منتدى أبوظبي للسلم بشراكة مع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، أجمع المشاركون على أن الإعلان تجاوز أهدافه الأولى، بعدما أصبح حاضرا في النقاشات الدولية المتعلقة بحماية التنوع الديني وترسيخ ثقافة المواطنة، كما أسهم في إطلاق مبادرات أكاديمية ودينية متعددة داخل العالم الإسلامي وخارجه.

ولا يقتصر حضور الإعلان اليوم على رمزيته الفكرية، بل يعكس أيضا مسارا اختاره المغرب منذ سنوات يقوم على توظيف رصيده الديني والتاريخي في خدمة الحوار بين الأديان، وتقديم نموذج إسلامي وسطي يوازن بين المرجعية الشرعية ومتطلبات الدولة الحديثة، في وقت تتصاعد فيه النزاعات ذات الخلفيات الدينية والثقافية في مناطق مختلفة من العالم.

وأكد أحمد التوفيق، وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية، أن الإسلام أرسى منذ نشأته الأولى قواعد واضحة تقوم على قبول التعددية والاجتهاد، وعلى الحوار بالحكمة والموعظة الحسنة، مشددا على أن قيم "لا إكراه في الدين" واحترام الآخر تشكل جزءا أصيلا من المرجعية الحضارية الإسلامية.

وأوضح أن الرسالة الملكية الموجهة إلى المشاركين في هذا المسار أكدت أن المبادئ الشرعية لا تحقق أهدافها إلا إذا اقترنت بسلوك حضاري يترجمها إلى ممارسة يومية، معتبرا أن العالم بات في حاجة متزايدة إلى استعادة البعد الأخلاقي للأديان في مواجهة خطابات الكراهية والاستقطاب.

وأشار الوزير إلى أن الدفاع عن الحرية الدينية ينبغي أن يبقى بعيدا عن التوظيف السياسي أو الحسابات الظرفية، وأن احترام هذه الحرية لا يتعارض مع حماية النظام العام للدول، بل يشكل مدخلا لتعزيز الحوار الثقافي والاستقرار المجتمعي.

من جانبه، أوضح معالي الشيخ عبدالله بن بيّه، رئيس منتدى أبوظبي للسلم، أن انعقاد مؤتمر مراكش سنة 2016 جاء في ظرف دولي بالغ الحساسية، اتسم بتصاعد النزاعات المرتبطة بالهوية والدين، الأمر الذي استدعى العودة إلى "ميثاق المدينة" باعتباره نموذجا تاريخيا للتعايش بين مختلف مكونات المجتمع.

> أحد أبرز عوامل نجاح مبادرة «إعلان مراكش» يتمثل في أنها جمعت بين الشرعية الدينية والغطاء المؤسسي والدعم السياسي

وأكد أن الإعلان لم يكن مجرد فتوى فقهية، وإنما رؤية حضارية تستلهم مقاصد الشريعة لبناء سلم أهلي ومواطنة عادلة للجميع، مضيفا أن الوثيقة أصبحت خلال السنوات الماضية مرجعا يحظى باهتمام الجامعات والمؤسسات الفكرية والبحثية، وأسهمت في تصحيح كثير من الصور النمطية عن علاقة الإسلام بالحريات الدينية.

ويرى مراقبون أن أحد أبرز عوامل نجاح المبادرة يتمثل في أنها جمعت بين الشرعية الدينية والغطاء المؤسسي والدعم السياسي، وهو ما سمح لها بالانتقال من وثيقة صادرة عن مؤتمر فكري إلى مشروع دولي مستمر للحوار بين الأديان.

وأكد عبدالله بوصوف، الباحث الأكاديمي والأمين العام لمجلس الجالية المغربية بالخارج، في تصريح لـ"العرب"، أن أهمية "إعلان مراكش" ترتبط أيضا بالسياق الذي صدر فيه، إذ جاء في ذروة تمدد التنظيمات المتطرفة وتصاعد الخطابات التي ربطت الإسلام بالعنف، ما جعل الحاجة ملحة إلى مرجعية دينية تصحح المفاهيم وتؤكد قيم المواطنة والعيش المشترك.

وأضاف أن ما منح الإعلان مصداقية إضافية هو اعتماده على اجتهاد فقهي جماعي، وليس على مقاربة سياسية أو ظرفية، الأمر الذي جعله أكثر رسوخا داخل الفكر الإسلامي وأكثر قدرة على الاستمرار.

كما أشار إلى أن اختيار مدينة مراكش لم يكن اعتباطيا، بل يحمل دلالات تاريخية وحضارية، باعتبارها مدينة عرفت عبر قرون تعايش المسلمين واليهود والمسيحيين، وكانت فضاء للتبادل الثقافي والتجاري بين أفريقيا وأوروبا والعالم الإسلامي.

بدوره، اعتبر العصري سعيد أحمد الظاهري، سفير دولة الإمارات العربية المتحدة بالمغرب، أن "إعلان مراكش" أصبح منارة عالمية للتسامح والتعايش والأخوة الإنسانية، مشيرا إلى أن التعاون المغربي – الإماراتي في هذا المجال يعكس قناعة مشتركة بأهمية الأمن الفكري ودور المؤسسات الدينية في تحصين المجتمعات من التطرف.

ومن جهته، أكد محمد السنوسي، عضو مجلس أمناء منتدى أبوظبي للسلم، أن العالم كان بحاجة إلى وثيقة تنطلق من المرجعية الإسلامية لتعزيز الحريات الدينية، معتبرا أن اختيار المغرب لاحتضان هذا الإعلان جاء نتيجة لما راكمه من تجربة في إدارة الشأن الديني وترسيخ ثقافة العيش المشترك.

ويجمع متابعون على أن القيمة الحقيقية لـ"إعلان مراكش" لا تكمن فقط في مضامينه الفقهية، وإنما في كونه ساهم في إعادة تقديم نموذج مختلف للعلاقة بين الإسلام والتعددية، في مرحلة تتزايد فيها الحاجة إلى مبادرات قادرة على مواجهة الاستقطاب الديني والثقافي بخطاب مؤسس على الاعتراف بالاختلاف واحترام التنوع.

وبعد عقد كامل على إطلاقه، يبدو أن الإعلان تجاوز حدود المناسبة التي ولد فيها، ليصبح إحدى أهم أدوات القوة الناعمة المغربية، ودليلا على أن الدبلوماسية الدينية للمملكة لم تعد تقتصر على إدارة الشأن الديني داخليا، بل باتت تساهم في صياغة نقاش عالمي حول التعايش والحرية الدينية، انطلاقا من مرجعية إسلامية أصيلة ومن تجربة مغربية راكمت حضورا متزايدا على الساحة الدولية.

الإعلان لم يكن مجرد فتوى فقهية، وإنما رؤية حضارية

العرب
الخميس 2026/07/23
السنة 49 العدد 13868

الاقتصاد السياسي للإفقار وتجريف الطبقة الوسطى في اليمن

د. محمد الميتمي
سفير اليمن في الصين

حرب واحدة ممتدة لأكثر من عقد من الزمن كثّفت عقودًا، بل قل قرونًا من تاريخ الصراعات في بلد الأنبياء والأديان والحضارات، وأحالته من ذاكرة تاريخية جميلة عطرة إلىٰ واقع مأساوي حزين. لم تكتفِ هذه الحرب اللعينة بما خلّفته من ركامٍ شاهق من الدمار المادي الذي يحتاج إلىٰ مئات المليارات من الدولارات لتعويض الخسائر، وعقود من الزمن لإعادة الإعمار، ولكن ما هو أخطر وأفدح هو ذلك التصدّع الذي أحدثته في البنية الاجتماعية، وما نتج عنه من تبدّل في منطق العيش، ومن إعادة صياغة قسرية لعلاقة الإنسان بذاته وبالدولة والمجتمع والمستقبل. لقد تجاوزت هذه الحرب مجرّد أن تكون صراعًا مسلحًا علىٰ السلطة أو الجغرافيا، فتحوّلت إلىٰ منظومة مركّبة لإنتاج الهشاشة، وإعادة توزيع الحرمان، وتحويل الفقر من حالة اقتصادية إلىٰ بنية حكم اجتماعي وسياسي. بهذا المعنىٰ، يغدو الإفقار الشامل أداة لتفكيك الكيان الجمعي، لا لأنه يحرم الناس من الدخل وحده، بل لأنه يضرب شروط الكرامة، ومعنىٰ العمل، ومبدأ الاعتراف، والقدرة علىٰ التخطيط والتخيّل. فالحرمان من الدخل والراتب والأجر هو المدخل لهذا التجريف الممنهج للكيان الاجتماعي.

وقد ناقش ريكاردو وماركس في تراثهما الفكري دينامية الدخل والأجر، وجادلا بصرامة حول خطورة وفداحة الإفقار الذي تتبعه النظم المهيمنة علىٰ الاقتصاد والمجتمع.

تنبع خطورة هذه الظاهرة من أنها لا تطال الفئات الفقيرة تقليديًا وحدها، بل تمتد إلىٰ صميم الطبقة الوسطىٰ: موظفي الدولة، والمعلمين، والأطباء، والأكاديميين، والحرفيين والمهنيين، وصغار التجار، وأصحاب الدخول الثابتة. فهذه الطبقة ليست شريحة دخلية فحسب، بل هي رافعة الدولة الحديثة، وحاملة التعليم، ووسيط الاستقرار بين الفقر الفادح والثراء الموحش. ومع توقف الرواتب وتآكل العملة وتفكك المؤسسات، انتقل جزء واسع منها من موقع الفاعل الاجتماعي إلىٰ موقع الهشاشة والتبعية، بما جعل السؤال الاقتصادي سؤالًا وجوديًا: كيف يحافظ الإنسان علىٰ معنىٰ ذاته حين تنقطع صلته المادية والرمزية بمؤسسة العمل والدولة؟ فالعمل، كما يقول إنجلز، هو من خلق الإنسان وأعطاه معنىٰ.

ينبغي التمييز منهجيًا بين الفقر بوصفه حالة معيشية مضطربة، والإفقار بوصفه سيرورة تاريخية وسياسية لإنتاج العوز. فالفقر قد يظهر كاختلال في الدخل، أما الإفقار فهو فعل بنيوي مستمر تصنعه الحرب، وانقسام السلطة، واحتكار الموارد، وتسييس الراتب، وتعطّل آليات الحماية الاجتماعية. وتؤكد خطة الاحتياجات والاستجابة الإنسانية لليمن لعام 2026 أن أكثر من 22 مليون شخص يحتاجون إلىٰ المساعدة والحماية، وأن 18.3 مليون شخص يواجهون انعدامًا حادًا في الأمن الغذائي، وهي أرقام تكشف أن الأزمة لم تعد هامشية أو قطاعية، بل أصبحت ملمحًا صارخًا للحياة اليومية في بلد منكوب.

عرّف ريكاردو وماركس الإفقار المطلق بأنه انهيار القدرة علىٰ الوصول إلىٰ الحد الأدنىٰ من الغذاء والماء والدواء والمأوى والتعليم. وفي الحالة اليمنية، يتخذ هذا الانهيار طابعًا جيليًا؛ إذ تشير التقديرات الإنسانية لعام 2026 إلىٰ أن أكثر من 2.2 مليون طفل دون الخامسة يعانون من سوء تغذية حاد، بينهم أكثر من نصف مليون في حالة سوء تغذية حاد للغاية، فضلًا عن نحو 1.3 مليون امرأة حامل ومرضع مرشحات لسوء التغذية. ليست هذه مؤشرات صحية معزولة، بل دلائل علىٰ تدمير بطيء لرأس المال البشري، وعلىٰ تحويل الطفولة إلىٰ مجال مبكر للحرمان البنيوي.

> **الإفقار في اليمن ليس مجرد حرمان اقتصادي بل هو مصادرة للأفق وانهيار للقدرة على التخطيط وتحويل المستقبل إلى انتظار يومي بلا معنى**

أما الإفقار النسبي فيحيل إلىٰ الانحدار في المكانة والقدرة والاعتراف، لا إلىٰ الدخل وحده. إنه الفجوة بين ما كان الفرد يمثله اجتماعيًا وما صار إليه تحت ضغط الأزمة؛ بين معلم كان رمزًا للمعرفة ثم أصبح عاجزًا عن الوفاء بحاجاته الأساسية، وطبيب كان حارسًا للحياة ثم غدا محاصرًا بندرة الدواء والدخل، وموظف كان ينتمي إلىٰ جهاز الدولة ثم وجد نفسه خارج ضماناتها. هنا يتخذ الفقر شكل جرح في الهوية وسحق للكرامة، لا مجرد نقص في الموارد.

في اليمن يتداخل النمطان علىٰ نحو مركّب؛ فالتفكيك والسحق الاجتماعي يتزامن مع صعود اقتصاد حرب ينتج ثروات طفيلية من الجباية والندرة والاحتكار وسلاسل السوق السوداء. وهكذا يغدو الفقر مظهرًا لعلاقات قوة تعيد ترتيب المجتمع لمصلحة من يملكون السلاح أو النفوذ أو القدرة علىٰ التحكم بتدفّقات المال والسلع، أي الميليشيات المسلحة بتعريف مختصر.

تؤدي الطبقة الوسطىٰ في أي مجتمع وظيفة تتجاوز الاستهلاك والدخل؛ فهي حامل العقل المؤسسي، ووسيط التحديث، ومجال تشكّل الرأي العام، والحاضنة اليومية لقيم التعليم والقانون والانضباط المهني. وحين تتعرض هذه الطبقة للتجريف، لا يفقد المجتمع قدرة شرائية فحسب، بل يفقد جهازه الرمزي الذي يربط الجهد بالترقي، والمعرفة بالمكانة، والدولة بالحماية. لذلك فإن تآكل الطبقة الوسطىٰ اليمنية هو في جوهره تآكل لفكرة الدولة الحديثة ذاتها.

تظهر هذه الحقيقة بوضوح في أزمة الرواتب. فقد وثّقت دراسات حقوقية حديثة أن أكثر من 1.2 مليون موظف في القطاع العام في مناطق خارج سلطة الشرعية المعترف بها دوليًا، بينهم قرابة 240 ألف معلم، حُرموا من رواتبهم منذ سبتمبر 2016. وبالنظر إلىٰ بنية الأسرة اليمنية الممتدة، فإن أثر الراتب يتجاوز الفرد إلىٰ شبكة واسعة من المعالين، بما يجعل توقفه صدمة اقتصادية واجتماعية متعددة الحلقات. الراتب ليس دخلًا جاريًا مستحقًا، بل آلية اندماج في الدولة، وشكل من أشكال الاعتراف القانوني والاجتماعي بالعمل. وما يزيد الأمر فظاعة أن يُجبر هؤلاء علىٰ العمل من دون أجر، وإلا تعرّضوا لأقسىٰ أنواع العقاب. ومثل ذلك لم يحدث في التاريخ الحديث إلا في التشكيلات الاجتماعية العبودية (علاقة السيد بالعبد) و(الإقطاعي بالقنّ) في نظام القنانة، وذلك قبل قرون طويلة ترجع إلىٰ آلاف السنين.

عندما ينقطع الراتب، تنفصل القيمة عن العمل، وتنهار العلاقة الأخلاقية بين الجهد والمكافأة. في مثل هذا السياق، يصبح من يعلّم ويداوي ويدير ويخدم أقل قدرة علىٰ البقاء ممن يسيطر علىٰ الجباية أو السوق أو أدوات الإكراه. وهذه المفارقة لا تخلق فقرًا ماديًا فقط، بل تفضي إلىٰ انقلاب في السلم القيمي للمجتمع، حيث تضعف شرعية الكفاءة، وتتقدّم شرعية القوة، ويتحوّل المجال العام إلىٰ ساحة نجاة لا إلىٰ فضاء مواطنة.

لا يمكن فهم الإفقار في اليمن خارج الاقتصاد السياسي للتشظي المؤسسي. فطبقًا للبنك الدولي، انخفض نصيب الفرد الحقيقي من الناتج المحلي بنحو 60 في المئة منذ عام 2015، وتجاوزت معدلات التضخم السنوي في عموم البلاد ما يزيد علىٰ 30 في المئة، كما تراجع سعر الريال من نحو 215 عام 2014 إلىٰ 2065 ريالًا للدولار عام 2024، بما عمّق تآكل القدرة الشرائية، وهو في الوقت الراهن 1570 بفعل التدخلات التصحيحية للبنك المركزي. وإلىٰ جانب ذلك، أدّى تعطّل صادرات النفط وانقسام السلطات النقدية وتعدّد أسعار الصرف إلىٰ تكوين فضاءين اقتصاديين متباعدين داخل بلد واحد.

لا تعود الندرة هنا مُعطىٰ لقلة الموارد، بل تصبح تقنية حكم. فالتحكم بالموارد والموانئ والوقود والضرائب والرسوم وسلاسل الإمداد يحوّل الاقتصاد إلىٰ جهاز جباية لا جهاز إنتاج، ويجعل السوق مجالًا لإعادة توزيع الخسارة علىٰ الضعفاء والربح للمتحكمين بالمسارات. ومع تراجع التمويل الدولي الإنساني وارتفاع كلفة الغذاء والخدمات، يجد المواطن اليمني نفسه عالقًا فيما يمكن تسميته "عبودية الحاجة": خضوع يومي تمليه الضرورة لا القانون.

وتكمن قسوة الإفقار في أنه يعيد تشكيل الزمن الاجتماعي. فالأسرة التي كانت تخطط للتعليم والسكن والادخار أصبحت تدير يومها بمنطق الطوارئ. المستقبل يتقلّص من مشروع إلىٰ احتمال، ومن احتمال إلىٰ وجبة، ومن وجبة إلىٰ انتظار. وبذلك يتحوّل الفقر من نقص في الموارد إلىٰ مصادرة للأفق؛ إذ يفقد الإنسان القدرة علىٰ تأجيل الإشباع، وبناء التراكم، وصوغ معنىٰ بعيد للحياة.

يبدأ الأثر الاجتماعي للإفقار من تفكك رأس المال الاجتماعي: الثقة، والتضامن، والتبادل، والقدرة علىٰ النظر إلىٰ الآخر بوصفه شريكًا في مصير عام لا منافسًا علىٰ موارد نادرة. كانت شبكات القرابة والجوار والقبيلة قادرة تاريخيًا علىٰ امتصاص بعض الصدمات، غير أن التعميم الواسع للعوز يضعف قدرة هذه الشبكات نفسها؛ إذ يصبح الجميع في موقع الاحتياج، ويتحوّل التضامن من عُرفٍ اجتماعي إلىٰ استثناء مُكلِّف.

ويظهر ذلك بجلاء في التعليم، حيث لا يقتصر الضرر علىٰ المباني والمناهج الملغومة، بل يطال صورة المعرفة ذاتها. فعندما يرى الطالب معلمه عاجزًا عن ضمان عيش كريم، تتزعزع العلاقة بين التعليم والصعود الاجتماعي. وحين تُضطر الأسر إلىٰ إخراج أطفالها من المدارس للعمل أو النزوح أو المساعدة المنزلية، فإن المجتمع لا يخسر سنة دراسية فحسب، بل يخسر إمكانية تراكم معرفي وأخلاقي يمتد أثره لعقود.

أما الأسرة، بوصفها آخر وحدة حماية في المجتمع، فقد غدت تحت ضغط هائل. يتولّد عن العجز الاقتصادي توتر داخلي واضطرابات نفسية بعضها حاد وعميق، وتزداد عمالة الأطفال، ويتراجع الاستثمار في تعليم الفتيات، وتتسع استراتيجيات البقاء القاسية من الاستدانة وبيع الممتلكات إلىٰ الهجرة والاعتماد علىٰ التحويلات والمساعدات. جميع هذه الممارسات التي نراها بادية للعيان ليست مجرد ردود فعل، بل آليات لإعادة إنتاج الفقر عبر الأجيال، لأنها تنقل الحرمان من مستوى الدخل إلىٰ مستوى القدرات.

علىٰ المستوى الفلسفي، لا يمسّ الإفقار الجسد وحده، بل يمسّ بنية الاعتراف التي يقوم عليها الوجود الإنساني. لا يعيش الإنسان بالخبز وحده، بل بالقدرة علىٰ أن يرى نفسه فاعلًا مُعترفًا به، وأن يرى عمله متّصلًا بمعنىٰ وقيمة. حين يفقد الموظف راتبه، والمعلم هيبته، والطبيب أدواته، والأب قدرته علىٰ حماية أسرته، ينشأ اغتراب مركّب: اغتراب عن العمل، وعن الذات، وعن الدولة، وعن المستقبل.

لقد كانت الكرامة في الثقافة اليمنية مرتبطة بفكرة السِّتر، وبالقدرة علىٰ احتمال الفقر ما دام لا يتحوّل إلىٰ إذلال علني. غير أن الإفقار الشامل كسر هذا السِّتر عبر طوابير الإغاثة، والاستدانة المتكررة، وبيع الأثاث، وتأجيل العلاج، وانتظار الحوالة المالية. ومع تراكم هذه الخبرات، لا يتخلّق حزن فردي فحسب، بل يتكوّن مزاج اجتماعي من الانكسار الصامت: إحساس بأن الجهد لا يثمر، وأن الأخلاق لا تحمي، وأن المستقبل لا يفتح أبوابه إلا لمن يملك القوة أو النفاذ إلىٰ شبكات الريع (أو "أحمر عين" بالتعبير الشعبي الدارج).

من هنا يطرح الإفقار في اليمن سؤال العدالة في صورته الأكثر حدّة: ما معنىٰ الدولة إذا لم تضمن الحد الأدنىٰ من العيش؟ وما معنىٰ المواطنة إذا طُلب من المواطن الولاء دون أن يحصل علىٰ الحماية؟ وما معنىٰ السلم الاجتماعي إذا جرت مكافأة السيطرة لا الكفاءة، والجباية لا الإنتاج، والقوة لا المعرفة؟ إن الخطر الأعمق لا يكمن في انخفاض الدخل وحده، بل في اهتزاز الإيمان بفكرة النظام العادل والوطن الحاضن. وقد قال العرب قديما "ليس بلد أحقّ منك من بلد، خير البلاد من حملك، الفقر في الوطن غُربة، والغنىٰ في الغُربة وطن".

الإفقار بوصفه سياسة لإنتاج العوز

بنات الفقراء وقود الحرب ونساء الحركة الإسلامية السودانية في صالات الاحتفال

د.عبدالمنعم همت
كاتب سوداني

الحروب تكشف حقيقة القوى السياسية أكثر مما تكشفه الخطب والشعارات. فعندما تطول المأساة يصبح السؤال بسيطًا ومباشرًا: من يدفع الثمن ومن يعيش بعيدًا عن النيران؟

في السودان تتكرر الصورة نفسها منذ اندلاع الحرب. آلاف الأسر فقدت أبناءها وبناتها، وتشرد الملايين داخل البلاد وخارجها، وتحولت حياة الناس إلىٰ رحلة يومية من الخوف والجوع والمرض. وفي الوقت نفسه تنتشر صور ومقاطع لقيادات وكوادر الحركة الإسلامية وهم يعيشون في دول مختلفة وسط حياة مستقرة، ويقيمون حفلات الزواج والمناسبات الاجتماعية في الفنادق والصالات الفارهة، وكأن السودان لا يحترق.

هذه المفارقة لا يمكن تجاهلها لأنها تعكس الفجوة الأخلاقية بين الخطاب الذي يطالب بالتضحية والواقع الذي يعيشه أصحاب هذا الخطاب. الذين يطلبون من الآخرين الصمود والقتال لا يظهرون في ساحات الحرب ولا يرسلون أبناءهم وبناتهم إليها. الذين يصلون إلىٰ المنصات للتحريض يعيشون في مدن آمنة، بينما يواجه أبناء الفقراء الموت كل يوم.

وخلال الأيام الماضية ظهرت مقاطع فيديو تُظهر عمليات لتجنيد الفتيات والنساء مع أناشيد تحمل خطابًا تعبويًا مستمدًا من أدبيات الإسلام السياسي التي ارتبطت بالحركة الإسلامية طوال سنوات حكمها. هذه المشاهد تثير أسئلة خطيرة حول الجهة التي تدفع بالفتيات إلىٰ هذا الطريق، وحول المسؤولية الأخلاقية لمن يستخدم الدين والعاطفة لتغذية الحرب وإطالة عمرها.

> **المأساة لا تتوقف عند القتال، بل تمتد إلى تجنيد الفتيات الفقيرات واستغلال الدين والعاطفة؛ فيما نساء الحركة الإسلامية يحتفلن بعيدًا عن أصوات المدافع**

المشهد الأكثر إيلامًا أن أغلب الفتيات اللواتي يظهرن في تلك المقاطع ينتمين إلىٰ البيئات الفقيرة والمهمشة. وجوه أنهكتها الحرب، وأجساد أضعفها الجوع والنزوح وانعدام الرعاية الصحية. هؤلاء لا يمتلكن المال ولا النفوذ ولا فرصة الهروب إلىٰ الخارج. وجدن أنفسهن في قلب المأساة وأصبحن مادة سهلة للتعبئة والاستغلال.

في الجهة الأخرى تعيش كثير من نساء الحركة الإسلامية حياة مختلفة تمامًا. يقمن في عواصم آمنة ويتمتعن بالاستقرار، ويشاركن في حفلات ومناسبات اجتماعية، ويظهرن في حياة مرفهة بعيدة عن أصوات المدافع. لا أحد يطالبهن بإرسال بناتهن إلىٰ الجبهات، ولا يطلب منهن تقديم التضحيات التي يطلبونها من بنات الفقراء.

هذه المفارقة ليست تفصيلًا عابرًا، إنها تكشف طبيعة العلاقة بين القيادة والقاعدة داخل هذا المشروع السياسي. هناك من يدير المعركة من مسافة آمنة، وهناك من يقدم أبناءه وبناته وقودًا لها. وهناك من يملك فرصة السفر والنجاة، وهناك من لا يملك سوى البقاء تحت القصف.

إذا كانت الحرب قضية وجود بالنسبة للحركة الإسلامية، فلماذا لا تبدأ التضحيات من داخل بيوت قياداتها؟ ولماذا لا يظهر أبناء وبنات الصف الأول في ساحات القتال كما يظهر أبناء القرى والأحياء الفقيرة؟ ولماذا يبقىٰ نصيب الفقراء هو الموت والنزوح، بينما يبقىٰ نصيب أصحاب النفوذ هو الأمن والرفاهية؟

> **الحرب في السودان تكشف الفجوة الأخلاقية بين خطاب التضحية وواقع القيادات؛ أبناء الفقراء وقود المعارك، بينما أبناء الصف الأول يعيشون في أمان**

السودان اليوم يحتاج إلىٰ أصوات تعمل علىٰ إيقاف الحرب، لا إلىٰ حملات تعبئة جديدة تستغل مشاعر الناس وفقرهم. يحتاج إلىٰ مشروع يعيد الحياة إلىٰ المدارس والمستشفيات والأسواق، لا إلىٰ أناشيد تدفع جيلًا جديدًا إلىٰ ساحات الموت.

الحروب لا تنتهي عندما يزداد عدد المقاتلين، بل تنتهي عندما تتقدم إرادة السلام علىٰ مصالح الذين يربحون من استمرارها. وكل يوم تستمر فيه هذه الحرب يدفع ثمنه السودانيون البسطاء، بينما يواصل المستفيدون حياتهم بعيدًا عن الدمار الذي صنعته حساباتهم السياسية.

رحلة يومية من الخوف والجوع والمرض

قد يكون شمشوم الجبار فارسيًا؟

د.جيرار ديب
كاتب ومحلل سياسي لبناني

اتهمت الكويت إيران باستهداف "عدواني" لمنشآت مدنية وبنية تحتية أساسية، بعدما أعلنت سلطاتها تعرض مواقع للكهرباء والنفط لهجمات إيرانية أسفرت عن إصابات وخسائر مادية أدت إلى اندلاع حرائق.

وقالت وزارة الخارجية الكويتية، السبت 18 تموز – آب، في بيان إن "تكرار استهداف هذه المنشآت الحيوية يكشف عن نهج عدواني ممنهج يستهدف الأعيان المدنية والبنية التحتية، ويعرض حياة المدنيين وسلامتهم للخطر".

حال الكويت، كما حال دول خليجية وعربية، لم تزل تُستهدف من قبل الإيراني الذي يطلق صواريخه ومسيراته باتجاه أراضيها، في كلّ مرة تشتعل فيها الحرب بين الإيراني والأميركي في المنطقة. أمام جولات الضربات المتبادلة في منطقة متوترة، يتساءل المتابع لم يتعمد الحرس الثوري الإيراني ضرب دول المنطقة، طالما إن العمليات العسكرية الأميركية تنطلق من حاملات الطائرات أو من مواقع إسرائيلية؟

التهديدات الإيرانية تجاوزت الرد العسكري إلى استهداف الاقتصاد والموانئ والمضائق لتتحول من دفاع عن النفس إلى سياسة تدمير شامل تعيد رسم خريطة الصراع الإقليمي

أطلق المتحدث باسم القوات المسلحة الإيرانية، العميد أبو الفضل شكارجي، تحذيرات تفيد بأنه إذا تمّ استهداف البنية التحتية لإيران، فإن الرد الإيراني سيشمل تدمير البنى التحتية في جميع دول المنطقة التي تنطلق منها الهجمات.

تحذير شكارجي ليس يتيمًا بل سبقته تحذيرات مماثلة من قبل مسؤولين رفيعي المستوى في الحرس الثوري، ما يؤكد أن الهدف ليس فقط ضرب القواعد التي تنطلق منها العمليات. فأن تصبح المعادلة وجودية لإيران وتربطها بمضيق هرمز على اعتبار أنه "ما دامت الاعتداءات الأميركية مستمرة فلا يمكن تصدير الأسمدة ولا أي قطرة من النفط والغاز من المنطقة"، فهنا تتوضح أبعاد الضربات الإيرانية.

تتصرف القيادة العسكرية في طهران على قاعدة "عليّ وعلى أعدائي"، وما كنا ننتظره من الجانب الإسرائيلي يأتي على ما يبدو من الجانب الإيراني الذي أخذ من التقليد الإسرائيلي مقولة "شمشوم الجبار" وذهب نحو تطبيقها. إذ بعد السابع من تشرين الأول عام 2023، ونتيجة لعملية "طوفان الأقصى" التي قامت بها حركة حماس على مستوطنات غلاف غزة، ومع اشتداد الحرب عليها من أكثر من جبهة، كان من المتوقع أن تقدم إسرائيل على تنفيذ مقولة شمشوم باستخدامها ربما لأسلحة غير تقليدية مع ارتفاع أصوات مسؤولين ووزراء في حكومة بنيامين نتنياهو على ضرورة استخدام القنبلة النووية.

في سفر القضاة في العهد القديم من الكتاب المقدس، وتحديدًا في الإصحاحات 13 إلى 16، تذكر قصة شمشوم الجبار، الذي كان قاضيًا ومحاربًا في بني إسرائيل، واشتهر بقوة جسدية هائلة اعتبرت هبة إلهية. وفي نهاية القصة، وبينما كان أسيرًا دعا إلى الله أن يعيد إليه قوته بعدما سلبت منه من قبل أعدائه، فاستعادها ودفع أعمدة المعبد الذي كان فيه، فانهار المعبد عليه وعلى أعدائه، ومات معهم.

من يقرأ التهديدات الإيرانية، ويشهد على موجات الضربات التي ينفذها الحرس الثوري، يدرك أن هناك قرارًا اتخذ من قبل المرجعيات الحاكمة في طهران بالردّ على الضربات التي ينفذها الجيش الأميركي على أراضيها. فالأمر لا يتوقف عند الرد على الضربات فدائرة الاستهداف الإيراني توسعت، ولم تلتزم الردّ على المواقع العسكرية الأميركية المتواجدة في المنطقة، لأنّها أخذت تطال البنية التحتية والتهديدات امتدت إلى تدمير الموانئ ومصافي النفط وربما إلى اجتياح بري. هذا إن دلّ على شيء، فعلى أن الإيراني ذاهب في ضرب كافة مقومات الحياة المدنية والاقتصادية وليس فقط العسكرية.

لا نقاش في أنّ الضربات الأميركية على إيران لن تتوقف طالما أنّ الجانب الإيراني لا يبدي ليونة أو يقدم على تنازلات في ما يخصّ القضايا التي تطالب بها واشنطن. وهذا ما يفتح المنطقة على الانزلاق إلى سيناريو الحرب الكبرى، التي يجد فيها الحرس الثوري نفسه اليوم أمام ضربات الاستنزاف التي يشنها الجيش الأميركي بمثابة "شمشوم الجبار" داخل المعبد مسلوب القوة.

ذهب الإيراني بعيدًا في تهديداته نحو فتح جبهات جديدة من الحرب فطلب من حركة الحوثيين الاستعداد للدخول في الحرب عبر إقفال باب المندب أمام حركة الملاحة. فالأزمة هناك تؤثر مباشرة على مكانة قناة السويس في حركة التجارة الدولية، ما ينعكس سلبًا على مصر المستفيد الأول من مردود هذه القناة كما حصل عند إسناد غزة مع دخول الحوثي الحرب إلى جانب حماس.

هي حرب وجودية يعمد فيها الحرس الثوري على فرض قواعد للاشتباك من خلال تفعيل نفوذه في المنطقة بدءًا من موجات الصواريخ والمسيرات وصولًا إلى تحريك أذرعه في مناطق النفوذ. إن الوجود لا يرتبط بسقوطه وحيدًا، بل سقوط المنطقة بكل مقوماتها، كي لا تكون سانحة للأميركي لاستيفاء ثمن حربه. إن التعمد بقصف البنى التحتية والمراكز الاقتصادية في المنطقة وإغلاق المضائق وإشراك دول في حربه، وقصف قاعدة التنف في سوريا نموذجًا على ذلك، رغم إعلان النظام السوري عدم وجود قواعد أميركية، دلالة على إصرار الحرس الثوري على ضرب وتعطيل كافة المخططات التي باتت تتحدث عن إقامة مشاريع تجارية بعيدة عن تأثير الحرس الثوري، كـ"طريق المشرق العربي" الذي يربط تركيا بدول الخليج العربي مرورًا بسوريا ومدعوم من الجانب الأميركي بهدف تخفيف الاعتماد على الملاحة البحرية عبر مضيق هرمز.

علي وعلى أعدائي

ليبيا: من أين نبدأ، وماذا نوحّد أولا؟

نهاية كل أزمة... بداية لأزمة أخرى

عمر الليبو
باحث ليبي

هذا السؤال لم يعد مجرد طرح نظري، بل أصبح معضلة يومية يعيشها الليبيون منذ أكثر من عقد من الزمن. فقد مرّت البلاد بأزمات متلاحقة، وكلما اشتدت الأزمة ظهر أمام الليبيين حل جديد يحمل عنوانًا كبيرًا وشعارًا جميلاً، لكنه في كثير من الأحيان لم يكن نهاية للأزمة، بل بداية لأزمة أخرى بشكل مختلف.

منذ سقوط النظام السابق عام 2011، جُرّبت في ليبيا معظم الصيغ السياسية الممكنة؛ من المجالس الانتقالية إلى الحكومات المؤقتة، ومن الاتفاقات الأممية إلى الحكومات المنبثقة عن الحوارات السياسية، ومن محاولات تقاسم السلطة إلى مبادرات توحيد المؤسسات. وعلى الرغم من اختلاف الأسماء والمرجعيات، بقيت النتيجة واحدة: سلطات متعددة، وشرعيات متنافسة، ومواطن ينتظر دولة لم تكتمل بعد. هذا التراكم من التجارب يجعل السؤال اليوم أكثر إلحاحًا: هل تكمن الأزمة فعلًا في غياب الحلول، أم في ترتيب أولوياتها؟

ليبيا تواجه أزمة ثقة متكررة، فالشعارات الكبرى لم تُترجم إلى نتائج ملموسة والمواطن ما زال ينتظر سلطة سياسية موحدة تُنهي الانقسام وتعيد بناء الدولة

قيل إن الحل يكمن في توحيد الميزانية، ثم قيل إن المطلوب هو توحيد الجيش، ثم قيل إن المؤسسات هي التي يجب أن تتوحد، وتكرر الحديث عن المصالحة الوطنية وتوحيد القرار ورفع المعاناة الاقتصادية وتحسين الخدمات، وصولًا إلى الانتخابات التي يُفترض أن تمنح الليبيين فرصة لاختيار من يحكمهم. كل هذه العناوين تبدو صحيحة في ظاهرها، ولا أحد يرفضها، لكن المشكلة ليست في جمال الشعارات بل في من يحملها وفي الطريقة التي تُدار بها وفي النتائج التي تترتب عليها بعد كل مرحلة.

هنا يبرز سؤال الثقة في السلطة. من هي الحكومات التي جاءت أصلًا من أجل تحقيق هذه الوعود؟ من هي الجهات التي قالت إنها ستنهي الانقسام وتوحد المؤسسات وتخفف معاناة المواطن وتمهد للانتخابات؟ ماذا أنجزت وماذا أخفقت في إنجازه؟ ولماذا بقي المواطن الليبي يسمع الوعود نفسها بينما تتغير الوجوه أحيانًا وتبقى الأزمة كما هي؟ ثم يأتي السؤال الأهم: من هي السلطة الجديدة التي نريد أن نثق بها اليوم لتفعل ما عجز غيرها عن فعله بالأمس؟ هل نعيد التجربة نفسها مع الأشخاص أنفسهم والعقلية نفسها والتحالفات نفسها ثم ننتظر نتيجة مختلفة؟ وهل يمكن أن نبني دولة موحدة بأدوات سياسية أثبتت السنوات أنها جزء من الانقسام؟ وهل يمكن أن نطلب من المواطن الليبي أن يمنح ثقته من جديد لمن لم يحافظوا عليها في المرات السابقة؟

إن ليبيا لا تحتاج إلى شعار جديد فقط، بل تحتاج إلى بداية صحيحة. هذه البداية لا يمكن أن تكون بتوحيد المال أو السلاح قبل أن نعرف من يملك القرار السياسي ومن يتحمل المسؤولية ومن يخضع للمحاسبة. البداية يجب أن تكون من توحيد السلطة السياسية أولًا، لأن الميزانية مهما كانت موحدة تحتاج إلى سلطة واحدة تحدد الأولويات وتراقب الإنفاق، والجيش مهما كان موحدًا في الاسم يحتاج إلى سلطة سياسية شرعية مدنية يخضع لها، لا أن يكون هو بديلاً عنها، والمؤسسات مهما رُفعت فوقها لافتة التوحيد لن تعمل لصالح المواطن إذا بقي القرار موزعًا بين حكومات ومراكز نفوذ وأطراف تتقاسم الدولة بدلًا من أن تبنيها.

منذ عام 2014 دخلت ليبيا في مرحلة انقسام غير مسبوق، حيث تعددت الحكومات والبرلمانات وتوزعت المؤسسات المالية والأمنية، وأصبح كل مشروع إصلاحي رهينة للتجاذبات وكل مبادرة وطنية أسيرة للتحالفات الخارجية. حتى المبادرات الدولية، من اتفاق الصخيرات إلى مؤتمر برلين، لم تستطع أن تفرض مسارًا موحدًا لأنها اصطدمت بغياب سلطة سياسية واحدة قادرة على التنفيذ. الاقتصاد الليبي، رغم الثروة النفطية الهائلة، يعكس هذا الانقسام بوضوح، فميزانية الدولة بقيت محل نزاع بين الحكومات المتوازية، والإنفاق العام تحول إلى أداة سياسية لتثبيت النفوذ بدلًا من أن يكون وسيلة لتقديم الخدمات. المواطن الليبي، الذي يعيش في بلد يملك أكبر احتياطي نفطي في أفريقيا، يجد نفسه في مواجهة أزمات كهرباء ووقود وغلاء معيشة لأن القرار السياسي موزع والمحاسبة غائبة.

الجيش الليبي، الذي يفترض أن يكون مؤسسة وطنية جامعة، أصبح بدوره انعكاسًا للانقسام، فبدلًا من أن يخضع لسلطة سياسية واحدة تحول إلى أذرع متوازية تخضع لتحالفات محلية وإقليمية. هذا الواقع جعل الحديث عن توحيد الجيش شعارًا فارغًا، لأن أي جيش موحد يحتاج أولًا إلى سلطة سياسية شرعية مدنية تحدد العقيدة العسكرية وتراقب الأداء. المصالحة الوطنية والانتخابات هما أيضًا عناوين جميلة، لكنهما تظلان بلا معنى إذا لم تُبنيا على أساس سياسي موحد، فالمصالحة تحتاج إلى سلطة واحدة تضمن تنفيذ الاتفاقات، والانتخابات تحتاج إلى حكومة واحدة تشرف عليها وتضمن نزاهتها، ومن دون ذلك تتحول المصالحة إلى بيانات شكلية والانتخابات إلى مغامرة قد تعيد إنتاج الانقسام بدلًا من إنهائه.

لقد فشلت كل العناوين السابقة لأنها لم تنطلق من أساس صحيح. توحيد الميزانية فشل لأن المصرف المركزي منقسم ولكل طرف أولوياته الخاصة، وتوحيد الجيش فشل لأن العقيدة العسكرية غابت والولاءات القبلية والإقليمية طغت، وتوحيد المؤسسات فشل لأن السلطة السياسية نفسها منقسمة والمؤسسات انعكاس لها، والمصالحة الوطنية بقيت شعارًا لأن الأطراف لم تتفق على سلطة واحدة تضمن التنفيذ، والانتخابات تأجلت مرارًا لأن غياب سلطة سياسية موحدة جعلها مغامرة محفوفة بالمخاطر.

ويمكن الاستفادة من تجارب دول خرجت من انقسامات مشابهة. ففي البوسنة والهرسك احتاج بناء المؤسسات إلى اتفاق سياسي حسم أولًا سؤال الشرعية قبل إعادة هيكلة الدولة، وفي ليبيريا وسيراليون لم تبدأ إعادة بناء الجيش والأجهزة الأمنية إلا بعد تشكيل سلطة سياسية معترف بها داخليًا وخارجيًا، بينما أظهرت تجارب دول أخرى أن محاولة إصلاح المؤسسات قبل حسم سؤال السلطة لم تؤدِّ إلا إلى إطالة عمر الأزمة. هذه التجارب لا تقدم وصفات جاهزة لليبيا، لكنها تؤكد حقيقة واحدة: الدولة تُبنى من أعلى هرم الشرعية إلى بقية المؤسسات، وليس العكس.

لقد أثبتت التجربة الليبية أن الأزمة ليست أزمة أفكار، بل أزمة ترتيب للأولويات. فكل المبادرات التي بدأت من توحيد المؤسسات أو الجيش أو الميزانية اصطدمت في النهاية بالحقيقة نفسها: لا توجد مؤسسة تستطيع أن تكون موحدة إذا كانت السلطة التي تقودها منقسمة. لذلك فإن السؤال الذي ينبغي أن يسبق كل المبادرات ليس كيف نوحد الجيش أو الميزانية، بل كيف نبني سلطة سياسية واحدة تمتلك الشرعية والقدرة على اتخاذ القرار والمساءلة. عندها فقط يصبح توحيد المؤسسات نتيجة طبيعية، لا مشروعًا مؤجلًا. فالدول لا تُبنى بالشعارات، بل بتسلسل منطقي يبدأ بالشرعية، ثم ينتقل إلى المؤسسات، وينتهي بالتنمية والاستقرار. وربما كانت هذه هي الرسالة الأهم التي ينبغي أن يستخلصها الليبيون بعد أكثر من عقد من التجارب المتعثرة: أن توحيد السلطة ليس بندًا من بنود الحل، بل هو الشرط الذي يجعل كل الحلول الأخرى ممكنة.

البداية الصحيحة تكمن في توحيد القرار السياسي أولا فالمؤسسات والجيش والميزانية تحتاج إلى سلطة واحدة شرعية قادرة على المحاسبة وتحديد الأولويات

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس التحرير
محمد أحمد الهوني

المدير العام
صلاح أحمد الهوني

مدير التحرير
مختار الدبابي

المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

العرب
الخميس 2026/07/23
السنة 49 العدد 13868

«وجوه المنفى.. دروب الوطن».. سيرة هيثم حسين تحوّل المنفى إلى سؤال إنساني

كتاب يمزج السيرة الذاتية بالتأمل الفكري، ويعيد مساءلة الهوية والوطن

تواصل السيرة الذاتية العربية توسيع آفاقها لتغدو فضاءً للتأمل في أسئلة الهوية والمنفى والانتماء، متجاوزة حدود الاعتراف الشخصي إلى رحابة التجربة الإنسانية. وفي هذا السياق يأتي كتاب "وجوه المنفى.. دروب الوطن" لهيثم حسين، بوصفه عملاً يحوّل الذاكرة الفردية إلى أسئلة وجودية مفتوحة عن الإنسان والوطن.

أحمد السماري
كاتب وروائي سعودي

في كتابه "وجوه المنفى.. دروب الوطن" يختتم الكاتب هيثم حسين مشروعه السيريّ الذي امتد عبر سنوات من الكتابة والتأمل، ليصل إلى محطة تبدو أكثر نضجاً واتساعاً، حيث تتجاوز السيرة حدود الاعتراف الشخصي إلى أفق إنساني رحب، يغدو فيه المنفى مختبراً حياً لفهم الذات، والهوية، والوطن، والعلاقة الملتبسة بين الإنسان ومصيره.

وفي هذا الجزء تتكاثف التأملات حول معنى الاقتلاع، وما يخلّفه من آثار بعيدة الغور في الوعي والذاكرة، وحول الكيفية التي يعيد بها الإنسان بناء حياته كلما ظنّ أنه بلغ نهاية الطريق، ليكتشف أن طريقاً آخر يبدأ من جديد.

وقبل الدخول في دهاليز هذه السيرة، أجدني أستعيد بداية معرفتي بالأستاذ هيثم حسين. فقد تعرّفت إليه عبر منصة فيسبوك، ثم تطورت العلاقة حين زار الرياض في طريقه إلى الشارقة، فكان لي شرف لقائه ضمن عدد من أصدقائه هنا. وجدته شخصية هادئة، متزنة، بعيدة عن الضجيج، يحمل حضوره قدراً كبيراً من الطمأنينة، بينما كانت ملامحه توحي بأن وراء هذا الهدوء تاريخاً طويلاً من التجارب القاسية، صاغته المحن، وصقلته الغربة، وأنضجته الكتابة. شعرت منذ ذلك اللقاء أنني أمام تجربة إنسانية تستحق أن تُكتب، وأن تُقرأ، وأن يُتأمّل فيها طويلاً.

ولا أنسى سؤالاً طرحته عليه يومها: بماذا تحبّ أن أعرّفك؟ بالأديب الكردي، أم السوري، أم البريطاني؟ فجاء جوابه سريعاً، عفوياً، ومكثفاً في آن "أنا كل هؤلاء، اختر منها ما تشاء". وكانت تلك العبارة، على قصرها، مفتاحاً لقراءة هذا الكتاب كله؛ إذ تختزن في داخلها أسئلة الهوية والانتماء، وتكشف عن تجربة لا تنحصر في تعريف واحد، ولا تستقر عند حدود جغرافية بعينها، وإنما تتّسع لتستوعب طبقات متعددة من الانتماءات التي تتجاور، وتتفاعل، وتتبدل مع الزمن.

منذ الصفحات الأولى، يضعنا الكاتب أمام حقيقة تكاد تختصر تجربة المنفى كلها؛ فالوصول إلى بلد جديد يبدو، في ظاهره، نهاية رحلة شاقة، لكنه سرعان ما يتحول إلى بداية رحلة أخرى أكثر تعقيداً، تبدأ فيها أسئلة جديدة عن الذات، والمكان، واللغة، والمستقبل. وهنا تكمن قوة الكتاب؛ إذ ينقل المنفى من كونه حدثاً سياسياً أو انتقالاً جغرافياً إلى كونه تجربة وجودية عميقة، يعاد خلالها تشكيل الإنسان من الداخل، وتُختبر قدرته على التكيف، والمقاومة، وإعادة تعريف نفسه في عالم تبدلت خرائطه كلها.

ويحسب لهيثم حسين أنه يكتب المنفى بعيداً عن القوالب المكررة، فلا يغرق في استدرار العاطفة، ولا يركن إلى خطاب الضحية، وإنما يتجه إلى المناطق الأكثر تعقيداً في التجربة الإنسانية؛ إلى ذلك التوتر المستمر بين الانتماء والاندماج، وبين الذاكرة والحاضر، وبين اللغة الأولى التي وُلد بها الإنسان، واللغة التي اضطر إلى تعلمها، واللغة التي صار يفكر بها لاحقاً. ومن خلال هذا التشابك يطرح أسئلة كبرى بهدوء الواثق، من دون أن يسعى إلى فرض أجوبة نهائية: هل يستطيع الإنسان أن يحمل أكثر من وطن في داخله؟ وهل الهوية كيان ثابت، أم تجربة تتشكل باستمرار مع تغير الأمكنة والأزمنة؟

ولعل أكثر ما يلفت في هذا الكتاب أن صاحبه لا يجعل المنفى موضوعاً للسيرة فحسب، وإنما يجعل منه أداة لفهم الإنسان في جوهره. فالمنفى، في هذه الصفحات، يكشف هشاشة الإنسان وقوته معاً، ويعرّي أوهامه، ويدفعه إلى إعادة النظر في كثير مما كان يظنه ثابتاً. ومن هنا تتحول الحكايات الشخصية إلى أسئلة عامة تمس كل قارئ، حتى وإن لم يعرف المنفى يوماً؛ لأن الشعور بالاقتلاع قد يتخذ صوراً متعددة، وقد يختبره الإنسان داخل وطنه كما يختبره خارجه.

هيثم حسين يقدم شهادة عميقة على قدرة الإنسان على النجاة

وأما على مستوى اللغة، فإن الكتاب يقدم نموذجاً لكتابة هادئة، رصينة، متماسكة، تقوم على التأمل أكثر من اعتمادها على الإثارة. إنها لغة تعرف متى تصمت، ومتى تتكلم، وتمنح الفكرة زمنها الكافي كي تتشكل. وتنبع بلاغتها من صدق التجربة، لا من زخرفة التعبير، لذلك تأتي صورها طبيعية، موحية، قادرة على الوصول إلى القارئ من دون افتعال، بينما يظل الإيقاع متوازناً، يحمل القارئ من فكرة إلى أخرى بانسيابية وثقة.

ويزداد الكتاب ثراءً بما يقدمه من وجوه إنسانية رافقت الكاتب في محطات مختلفة من حياته. فهذه الشخصيات لا تؤدي دوراً عابراً داخل السرد، وإنما تتحول إلى شواهد على أن الغربة تخف وطأتها حين يجد الإنسان من يصغي إليه، أو يفتح له باباً، أو يمنحه كلمة صادقة في لحظة مناسبة. ومن خلال تلك اللقاءات يرسخ الكتاب فكرة مؤثرة مؤداها أن الوطن قد يحضر أحياناً في وجه إنسان كريم، أو في صداقة عميقة، أو في حوار يوقظ الأمل، وأن العلاقات الإنسانية الصادقة تستطيع أن ترمم شيئاً من كسور المنفى.

وفي الفصول الأخيرة يبلغ الكتاب ذروة صفائه الفكري، حين يتجاوز الحديث عن المكان إلى التأمل في معنى الوطن ذاته. فالوطن، هنا، ليس حدوداً ترسمها الخرائط، ولا اسماً يكتب في الوثائق الرسمية، وإنما حالة تتشكل باستمرار بين الذاكرة والواقع، وبين ما نحمله معنا وما نكتسبه في الطريق. وتغدو رحلة العبور تجربة مستمرة، يعيشها الإنسان ما دام يسعى إلى اكتشاف نفسه، وإعادة بناء علاقته بالعالم. ومن هذا المنظور تتحول السيرة إلى شهادة عميقة على قدرة الإنسان على النجاة، وعلى الاحتفاظ بجذوره، حتى وهو يمد فروعه في تربة جديدة.

لقد نجح "وجوه المنفى.. دروب الوطن" في أن يجمع بين السيرة الشخصية والتأمل الفكري والكتابة الأدبية، من غير أن يطغى أحدها على الآخر. وهو كتاب يقرأ على مستويات متعددة؛ فمن يبحث عن السيرة سيجدها، ومن ينشد التأمل في أسئلة الهوية والانتماء سيجد ما يغنيه، ومن يفتش عن الأدب الذي يحول التجربة الفردية إلى معنى إنساني شامل سيجد نفسه أمام عمل يفتح أبواباً واسعة للتفكير.

الكتاب نجح في أن يجمع بين السيرة الشخصية، والتأمل الفكري، والكتابة الأدبية، دون أن يطغى أحدها على الآخر

هل كانت الآرامية فعلا لغة الديانات الثلاث

حميد عقبي
كاتب ومخرج سينمائي يمني

صدر كتاب "التاريخ الثقافي للآرامية: من البدايات حتى ظهور الإسلام" للباحث الألماني هولغر غزيلا عن دار بريل، في لحظة أكاديمية كانت تشهد تحوّلات ملحوظة في دراسات اللغات القديمة، خاصة في حقل اللغات السامية. فقد تزايد الاعتماد على الأدلة المادية مثل النقوش والمخطوطات، بدل الاقتصار على السرديات النصية التقليدية. كما ترافقت هذه المرحلة مع اكتشافات جديدة، مثل نصوص قمران، وإعادة قراءة النقوش الآرامية في سوريا والعراق، كل هذا شجع الباحثين ودفعهم إلى إعادة النظر في تاريخ هذه اللغة كظاهرة ديناميكية وليست نظامًا جامدًا.

ومن هذا المنطلق، نجد أن كتاب غزيلا يقدّم محاولة مهمة لكتابة "تاريخ ثقافي" للآرامية، وهو لم يكتف بالوصف اللغوي، لكننا سنجده يربط اللغة بالبنية الاجتماعية والسياسية والدينية التي أنتجتها. وهذا التوجه يعكس تطور وانتقال الدراسات من "فقه اللغة" التقليدي إلى "تاريخ اللغة في سياقها الثقافي".

ويقدّم الكتاب مجموعة من النتائج المهمة التي يمكن للقارئ والباحث أن يخرج بها: أولا رفض فكرة الأصل الواحد: الآرامية ليست لغة واحدة بل طيف من اللهجات. ثم اللغة كنتاج سياسي؛ حيث أن انتشار الآرامية ارتبط بقوة الإمبراطوريات وليس بخصائصها الداخلية فقط. كما يبيّن أن التعدد اللغوي هو القاعدة، أي لم تكن الآرامية يومًا لغة وحيدة، فقد عاشت دائمًا في تفاعل مع لغات أخرى.

ويشدد على وجود فروق بين اللغة المكتوبة والمنطوقة فالنصوص قد لا تعكس دائمًا الواقع اللغوي بدقة. ويوضح أن الدين كان عاملا لغويا وقد تحوّلت الآرامية إلى لغات دينية متعددة (يهودية، مسيحية، مندائية). كما ظهرت مرونة كبيرة بين حدود اللهجات: فلا يمكن القول بوجد خط فاصل حاد بين الآرامية الشرقية والغربية.

وتوجد، وفقا للكتاب، أهمية كبرى للنقوش، حيث أنها تقدم المشهد فقد كانت اللغة الآرامية حية نشطة، نلمس ذلك من خلال المقارنة بين النصوص الأدبية.

وقدّم المؤلف رؤية شاملة للآرامية فهي كما يرى كانت لغة مرنة استطاعت التكيّف مع سياقات مختلفة، من لغة قبائل إلى لغة إمبراطورية، ثم إلى لغات دينية وأدبية متعددة. ويؤكد أن تاريخها لا يمكن فهمه إلا من خلال الجمع بين التحليل اللغوي والدراسة التاريخية والثقافية.

اعتمد غزيلا على منهج تاريخي – لغوي مركب، يجمع بين: تحليل النقوش والبرديات، دراسة البنية النحوية والصرفية، الربط بين اللغة والسياق السياسي، مقارنة اللهجات عبر الزمن.

لكن هناك بعض المراجعات النقدية (كما في مقال موسع نشره إدوارد ليبينسكي من الجامعة الكاثوليكية في لوفان – بروكسل) وأشار إلى بعض الملاحظات، منها: إهمال بعض المقارنات المهمة، خاصة مع العربية والأكادية، التركيز على النصوص المكتوبة دون إبداء اهتمام كافٍ باللغة المنطوقة، بعض التعميمات الزمنية، خاصة في نصوص قمران. ومع ذلك تبقى منهجيته متماسكة ومبنية على معرفة عميقة بالمادة اللغوية.

ولقد حظي الكتاب بتقدير واسع في الأوساط الأكاديمية، خاصة لقدرته على الجمع بين التوسع والوضوح. وقد اعتُبر مرجعًا مهمًا في دراسات الآرامية، لأنه يقدّم صورة متكاملة بدل الدراسات الجزئية.

لكن بعض النقاد أشاروا إلى: كثافة المادة اللغوية التي قد تجعل القراءة صعبة على غير المتخصصين، وغياب التحليل العميق لبعض القضايا الخلافية، كما اعتمد الباحث على المقاربة اللغوية كثيرًا مقارنة بالتحليل الثقافي رغم عنوان الكتاب. ومع ذلك، يبقى التقييم العام إيجابيًا، ويُنظر إليه كعمل تأسيسي حديث موسوعي ومتميز.

وهل كانت الآرامية تسمية لغوية أم هوية قومية؟ وهل سجل التاريخ ظهور شعب آرامي؟

تُظهر قراءة كتاب "التاريخ الثقافي للآرامية" للباحث هولغر غزيلا أن الآرامية، منذ بداياتها، لم تكن كيانًا قوميًا متماسكًا لكنها كانت تسمية لغوية مرنة ونشطة جدًا نشأت داخل فضاء متعدّد الشعوب. فالآراميون، كما تكشف النصوص الآشورية، وُجدوا فعلًا وكانت أصولهم جماعات قبلية منتشرة في بلاد الشام وبلاد الرافدين، وأسّسوا كيانات سياسية مثل آرام دمشق، لكنهم لم يشكّلوا يومًا "أمة" موحّدة بالمعنى الحديث، كونهم ظلوا شبكات بشرية متفرقة ربطتها اللغة ولم يجمعها مشروع سياسي موحد مستمر أو هوية صلبة.

وسنجد أن المفارقة التي يضيئها غزيلا في هذا الكتاب هي أن اللغة التي خرجت من إطار جماعات محدودة سرعان ما انفصلت عن حامليها الأوائل، لتتحوّل بعد ذلك إلى أداة تواصل عابرة للهويات، ومع صعود الإمبراطوريات الآشورية ثم الفارسية، لم تعد الآرامية لغة "الآراميين" فقط، كونها أصبحت لغة الإدارة والتجارة والدبلوماسية، يتبناها بابليون ويهود وأنباط وغيرهم دون أن يتحوّلوا إلى آراميين.

وبحسب غزيلا فإن الهوية القبلية تلاشت تدريجيًا، بينما استمرّت اللغة في التطور واتسعت جغرافيتها. إذن نفهم من كل هذا أن الانفصال بين اللغة والعرق هو الذي يجعل البحث عن "قومية آرامية" بالمعنى الحديث سؤالًا مضلّلًا؛ فالآرامية لم تُلغ وجود الآراميين، لكنها تجاوزتهم تاريخيًا. أي إنها كانت حالة نادرة للغة نجحت لأنها لم تبقَ حبيسة شعبها.

ومن هنا يمكن فهمها بكونها "لغة مشتركة" أكثر من كونها هوية مغلقة، فقد بدأت كلغة جماعة، ثم تحوّلت إلى لغة جماعات، قبل أن تصبح لاحقًا حاملة لتقاليد دينية وثقافية متعددة. بهذا المعنى لم تختف الآرامية حين اختفى الآراميون، لكنها بدأت منذ ذلك الزمن رحلتها الحضارية الفعلية الواسعة.

يقدّم لنا هذا الكتاب رؤية موسعة لتاريخ الآرامية، لكنه أيضًا يفتح أبوابًا بحثية واسعة وما تزال تثير الكثير من القضايا والأسئلة. فاللغة، كما يبيّن، ليست كيانًا ثابتًا، بل عملية تاريخية مستمرة تتطور وقد تضعف أيضًا. ورغم الجهد الكبير الذي بذله الباحث، تبقى عدة قضايا تحتاج إلى مزيد من البحث، مثل العلاقة بين اللهجات المنطوقة والنصوص المكتوبة، وحدود التداخل بين اللغات السامية، وتأثير التحولات السياسية في تشكيل اللغة.

وهناك سؤال هام شائع جدًا: هل الآرامية هي "لغة الديانات الثلاث"؟ ويبدو أن السؤال جذاب في بساطته، لكنه يحتاج إلى تفكيك علمي دقيق، خاصة في ضوء ما يقدّمه هذا الكتاب للباحث الألماني هولغر غزيلا، والذي يرفض مثل هذه التعميمات المختزلة.

يكشف لنا في كتابه أن الآرامية لم تكن لغة واحدة ثابتة، بل عائلة واسعة من اللهجات والتقاليد اللغوية التي امتدت عبر قرون طويلة، ثم تحوّلت من لغة قبائل إلى لغة إمبراطوريات، ثم إلى لغات دينية وأدبية متعددة. هذا وحده جعل البعض يصفها بـ"لغة الديانات الثلاث" وهذا تبسيط مخل، كوننا لا نتحدث عن كيان لغوي واحد، لكن عن شبكة لغوية متحولة وديناميكية.

في اليهودية، لعبت الآرامية دورًا مهمًا، لكنها لم تكن اللغة الوحيدة أو الأصلية. فالنصوص الأساسية، مثل التوراة، كُتبت بالعبرية كما نعرف جميعًا، ولكن هناك مقاطع آرامية محدودة في سفري دانيال وعزرا. ثم نشطت الآرامية لاحقًا وأصبحت لغة التفسير والشرح، كما في التراجيم، ولغة النقاش الديني في التلمود البابلي. هنا ظهرت الآرامية كلغة "وظيفية" داخل التقليد اليهودي، لا بصفتها لغة تأسيسية.

أما في المسيحية، فالصورة أكثر تعقيدًا. من المرجّح أن يسوع تحدث إحدى اللهجات الآرامية الغربية، لكن النصوص المؤسسة للمسيحية، أي الأناجيل، كتبت باليونانية. ثم بعد ذلك ظهرت السريانية كلغة أدبية مسيحية، خاصة في الشرق، وشكّلت تقاليد ثرية جدًا. ولكن يجب أن ننتبه أيضًا إلى أن المسيحية لم تكن مرتبطة بالآرامية وحدها، وأنها انتشرت بلغات متعددة منذ بداياتها.

أما في الإسلام، فالآرامية لم تحتل موقعًا مركزيًا، فلقد نزل القرآن بالعربية. ومع ذلك، لا يمكن تجاهل أثر الآرامية في البيئة اللغوية التي ظهر فيها الإسلام، حيث كانت جزءًا مهمًا من المشهد اللغوي في بلاد الشام والعراق. بعض المفردات والتعابير قد عكست هذا التداخل، لكن هذا لا يجعل الآرامية لغة دينية في الإسلام.

ويوضح غزيلا في هذا الكتاب أن الآرامية كانت، قبل كل شيء، لغة تواصل واسعة في الشرق الأدنى، خاصة في العصور الإمبراطورية. هذا الانتشار جعلها تدخل في تقاليد دينية متعددة، لكنها لم تكن يومًا "لغة موحّدة" لهذه الديانات. بل إن كل دين أعاد توظيفها وفق احتياجاته وسياقاته.

الأهم من ذلك أن العلاقة بين اللغة والدين ليست علاقة ثابتة أو حتمية. فاللغة يمكن أن تكون أداة تعبير، أو وسيلة تفسير، أو حتى لغة طقسية، لكنها لا تختزل الدين ولا تحدده. وهذا ما نراه بوضوح في حالة الآرامية: فهي حاضرة في اليهودية والمسيحية بدرجات مختلفة، وغائبة نسبيًا في الإسلام، ومع ذلك تبقى جزءًا من التاريخ الثقافي المشترك للمنطقة.

إذن، هل الآرامية لغة الديانات الثلاث؟ الجواب الأدق: لا، لكنها كانت إحدى اللغات التي عبرت من خلالها بعض هذه الديانات في مراحل معينة من تاريخها. لقد كانت إذن لغة تقاطع، وليس لغة أصل.

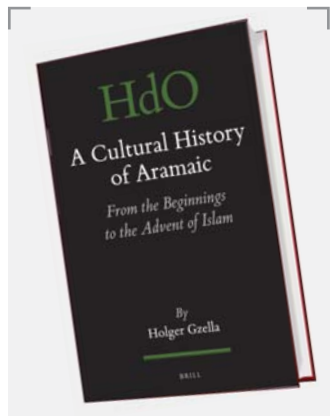

الكتاب يدعونا إلى إعادة التفكير في تاريخ اللغات بكونها تاريخًا للإنسان نفسه، في تنقله، وصراعاته، وتفاعلاته الثقافية

لغة مثلت مرآة لتاريخ المنطقة

العرب
الخميس 2026/07/23
السنة 49 العدد 13868

«خواجا الموسيقى» الذي صنع مفردات فنية جديدة لوجدان المصريين

هاني شنودة
مؤسس الفرق ومكتشف أكبر نجمين في الموسيقى المصرية المعاصرة

الحبيب الأسود
كاتب تونسي

ودعت مصر والعالم العربي الفنان الكبير هاني شنودة الملحن والموزع ومكتشف النجوم وعراب المواهب الصاعدة، عن عمر يناهز 83 عاما، بعد رحلة عقود من الإبداع والإشعاع والتحديات والتجارب الناجحة والريادة الفنية عبر اعتماد رؤية موسيقية مختلفة عما كان سائدا قبله، من حيث توقه إلى تشكيل آفاق أرحب في التعامل مع عالمية الفن وأبعاده الإنسانية المتجاوزة لحدود الجغرافيا السياسية والثقافية والاجتماعية والهويات المنغلقة على ذاتها.

ولد هاني شنودة في مدينة طنطا عام 1943، وتخرج في كلية الموسيقى عام 1966، والتحق بمعهد الكونسيرفاتوار، حيث بدأت موهبته تكشف عن ملامحها في اتجاه التأسيس للبصمة الخاصة والاختلاف عن التجارب السائدة من دون قطيعة مع الروح المصرية التي تجلت في عدد كبير من أعماله الغنائية والموسيقية.

عن أول تجاربه تحدث هاني قائلا "اشتركت مع مجموعة من الشباب، وعزفنا بعض المقطوعات الغربية والأغاني الغربية، وتجولنا بهذه الفرقة في العديد من الدول مثل لبنان وسوريا وكنا ندعو من خلالها كبار المطربين لأن ينظروا إلينا ويروا هذه الموهبة، وذات يوم حضر إلينا الأديب نجيب محفوظ وقتها كان يعمل بمجال الصحافة وسألني عن الموسيقى والفقرات التي نعزفها، وكنا وقتها نقدم مجموعة من الأغاني العالمية كالإيطالية والإسبانية والفرنسية وقال لي لماذا لا تقدم مثل هذه النوعية بالعربية، وبإجماع قلنا له العربي مش عاجبنا فقال لنا من أي ناحية، فقلت له المقدمات طويلة والأغنية ليس بها بناء هارموني وفيها إعادات وزيادات".

شنودة كان رائدا ومجددا ومؤسسا وصاحب إضافات وبصمة ستبقى راسخة في عالم الفن في مصر والمنطقة العربية

وتابع "قمنا بعدها بعمل أغان عربية إلى أن جاءني ذات يوم كلّ من شوقي حجاب وعبدالرحيم منصور وطلبا مني عمل ألبوم غنائي لمحمد منير وهو 'علموني عنيكي' ولكنه فشل بسبب قيام الشركة بنقل الأغاني من الأسطوانة إلى الكاسيت الذي لم يكن منتشرا في ذلك الوقت، من هنا طرأت علي فكرة تكوين فرقة موسيقية، وشاركني من قاموا بعزف الألبوم الأول لمنير. والسبب الثاني لفشل الألبوم عدم شهرة منير في ذلك الوقت، بعدها قمنا بعمل الألبوم الأول لفرقة المصريين وهو 'بحبك لا' وحقق نجاحا كبيرا لأن هذه الأغاني كانت جديدة على الجمهور ولم يقدمها أحد من قبل، ثم قامت الشركة التي أنتجت الألبوم الأول لمنير بإنتاج ألبوم ثان بعنوان 'بنتولد' وهو الذي كان سبب شهرة منير، وحقق مبيعات أكثر من 40 ألف نسخة، بعدها تشجعت الشركة وأعادت طرح الألبوم الأول مرة ثانية بالأسواق، وحقق نجاحا كبيرا".

وأضاف "ثم جاء تكوين الفرقة في 8 ديسمبر عام 1977، بعدها انتشرت باقي الفرق مثل الفور إم، الأصدقاء، النهار، وطيبة. ثم سجلت بعدها أكثر من 128 فرقة بجمعية المؤلفين والملحنين وحتى لا أنسى يوم تكوين الفرقة قمت بتلحين أغنية 'يوم 8 ديسمبر' وغنتها الفرقة بعد ذلك، ومن هناك توالت الأعمال وتعددت الألبومات التي تطرقت فيها لمفردات جديدة لم تخطر على بال أحد واستعملت الهارموني والكونتربونت وقدمت البناء الصحيح للأغنية كالاعتماد على الهارموني غير المبني على المونفونيك بمعنى أنها لم تكن أحادية الصوت، وإنما توزعت في الأصوات وقد أضافت الفرق كثيرا للأغنية والموسيقى".

ترك شنودة رصيدا مهما في مكتبة الموسيقى العربية، ومن ذلك أعماله مع الكبيرة الفنانة نجاة من كلمات الشاعر عبدالرحيم منصور، وعلى رأسها أغنية "بحلم معاك بسفينة"، والتي كانت من ألحانه وتوزيعه، وحققت الأغنية شهرة واسعة، وأغنية "أنا بعشق البحر"، والتي تعتبر من أشهر أعماله، وأعاد تقديمها بعد ذلك مع الفنان محمد منير، وأصبحت من الأعمال التي لا تنسى في مسيرة هاني شنودة.

تحدث شنودة عن تلك التجربة، فقال "عرفت نجاة عن طريق الشاعر الكبير عبدالرحيم منصور توأم روحي الذي طرق لي أبوابًا لم أتوقع يومًا أن أدخلها، فقد وجدتُه يقول لي ذات يوم ونحن في خضم العمل على شريط محمد منير الأول، إن نجاة معجبة بألحاني التي صغتُها لمنير وأنها تريد أن تتعاون معي. لم أكن متحمسا، والسبب خوفي من أن تصر نجاة على تغيير مساري الفني وفرض وجهة نظرها على فلسفتي الموسيقية. أنا رجل أسعى إلى إحداث ثورة في شكل الموسيقى، وهي مطربة عظيمة لكنها تغني القصائد والقوالب الكلاسيكية الأخرى، إلا أن نجاة كانت لديها رغبة صادقة في التجديد والتغيير ولهذا اتفقنا".

وأضاف "طلبتُ أن يكتب الكلمات عبدالرحيم منصور، وهي وافقت على الفور. ونحن نعمل كنت أتخيل دائمًا صوت نجاة وأتذوقه، أقيس مشاعري وهي تستمع إلى صوتها، وأسأل: كيف ستترجم مشاعري هذا الصوت؟ هذه نظرية مهمة في التلحين، فكل صوت له انطباع وجداني لدى المستمع، هذا الانطباع ينعكس على تأثير الأغنية سواء كانت كلماتها حزينة أو مبهجة، مثلًا أغنية 'زحمة يا دنيا' التي لحّنتُها لأحمد عدوية أستطيع أن أجعل نجاة تغنيها لكنني سأجعل المستمع هنا يكره الزحام ويتأثر منه، أما بصوت عدوية فقد جعلتُ المستمع يتقبل الزحام ويبتلعه ويرقص عليه!".

صورة نادرة لشنودة مع فرقة المصريين

من حفل تكريم الموسيقار المصري في السعودية

شنودة يعتبر أول من قدم محمد منير، حيث لحن له أربع أغان في أول ألبوماته «علموني عنيكي»

وتابع الفنان الكبير "قالت لي نجاة إنها بعد تسجيل الأغنيتين عرضتهما على شاعر كبير تثق في رأيه، فقال لها: إنتِ اتجننتِ؟! بعد ما كنتِ بتغني قصائد حتروحي تغنّي 'دانص'؟! يقصد أغاني راقصة، فخافت وترددت وقالت إنها ستؤجل طرح الأغنيتين حتى تشعر بأن الجمهور قادر على استيعاب التجربة. لم أغضب من موقف نجاة، بل بالعكس؛ قلت لها: أنت أدرى بمصلحتك، والأغنيتان أصبحتا ملكًا لك الآن، وعندما تفشلين سيهاجمك الجمهور ولن يهاجم هاني شنودة، وإذا نجحت سيقولون: نجاة نجحت، ولن يقولوا: هاني شنودة".

وأردف "عبرتُ فوق التجربة بسهولة لأنني كنتُ مشغولا بمشروعي مع فرقة 'المصريين' وكانت الأيام مشحونة بأحداث كثيرة وسريعة. مرت ستة أشهر ثم فوجئت بنجاة تتصل بي وتبلغني قرارها: يا هاني.. كمال الطويل سمع الغنوتين وقال لي: يا نجاة الواد ده رجّع لك شبابك تاني، إنتِ لازم تنزّلي الغنوتين دول بسرعة".

بالنسبة إلى هاني شنودة، فإن "شهادة كمال الطويل بالنسبة إلي هي النجاح الحقيقي، هو 'لورد' من لوردات الموسيقى في العالم العربي. رجل يقرأ النجاح بقلب فنان عبقري وعقل منتج مخضرم. شخص آخر غيره كان سيطلب من نجاة أن تتمسك بلونها ليضمن استمرارها تحت سطوته الفنية، أو يسد مجرى ألحان موسيقى شاب يشق طريقه نحو أصوات النجوم الكبار، لكن الطويل كان كبيرًا وتعامل بشيم الكبار".

يواصل هاني شنودة سرد قصته من خلال كتاب "مذكرات عراب الموسيقى" للكاتب الصحفي مصطفى حمدي، فيقول "بعد طرح الأغنيتين توطدت علاقتي بنجاة، كنا نتحدث يوميا ونتناقش ونحكي في أي شيء وكل شيء. وأثمرت الصداقة عن 6 أغنيات أخرى لكنها لم ترَ النور حتى الآن! نعم هي مفاجأة؛ قدّمتُ لنجاة ست أغانٍ أخرى سجّلتْها بصوتها، وأجزم بأنها أجمل من الأغنيتين السابقتين، ولكنها ترددت مرة أخرى في طرحها، ولم أقدم هذه الأغنيات لمطرب آخر رغم مرور عقود من الزمن".

تلك الأغنيات الست كتب كلمات أربع منها عبدالرحيم منصور وواحدة لعبدالرحمن الأبنودي وواحدة لسيد حجاب، وكانت الأغاني مسجلة بصوت السيدة نجاة على شريط كاسيت أخذته الفنانة الكبيرة بصفتها المنتجة، وكان لا يُسمح لأي أحد آخر بالاحتفاظ بنسخة من الشريط حتى لا تتسرب الأغنيات بالخطأ قبل طرحه، لذلك فهو لم يحتفظ بأي نسخة منه. وما حدث بعد ذلك أنه تم كسر زجاج سيارة نجاة وسرقة محتوياتها وكان من المسروقات كاسيت السيارة والشريط!

كما روى شنودة أن نجاة الصغيرة طلبت منه إعادة توزيع أغنيات "يا مسافر وحدك" و"ما كانش على البال" و"تشغل بالك"، لكنه رفض الفكرة في البداية، قائلا "قلت لها أنا ما اشتغلتش مع عبدالوهاب، وهيفضل هو عبدالوهاب، وكنت حضرت جلسات وهو بيوجه الموسيقيين، وكان حريصا على الحفاظ على روح الموسيقى الشرقية".

من أبرز نجاحات هاني شنودة أعماله مع الفنان الشعبي أحمد عدوية الذي أطلق عليه اسم "ناي الفن الحزين"، ومن أبرز تلك الأعمال "مجاريح" و"زحمة يا دنيا زحمة".

يقول "لأني كنت من معجبيه تعاملت مع عدوية، والأغنية تُرجمت سياسياً ومُنعت من الإذاعة".

في كتاب "مذكرات عراب الموسيقى هاني شنودة" يقول الموسيقار الكبير الراحل "استدعاني المنتج الخاص بعدوية، صاحب شركة 'صوت الحب' وقتها، وقال لي: عايزين نعمل حاجة لعدوية، وكانت فرصتي لأثبت لمحمد عبدالوهاب أنني أمتلك أدوات التجديد بروح مصرية خالصة، لأنه كان يناديني بـ'الخواجة'، وكان لدي حماس كبير لأضع بصمتي في هذه المنطقة، فوافقت ودخلت غرفة كبيرة بجوار مكتب المنتج، وخرجت منها بأغنية واحدة 'زحمة يا دنيا زحمة'، وبررت للمنتج سبب اختياري لها، وقلت له: الشاعر عبر عن الحالة بكلمات من نبض الشارع المصري، فمثلا خطفتني جملة 'الساعة إلا تلت'، فليس في العالم كله من يستخدم هذا التعبير غير المصريين، والأغنية اجتماعية في المقام الأول، وتعبر عن مشاعر ومشكلات الناس، وتتضمن رسالة اجتماعية، لأن الشاعر حسن أبوعتمان عبر عن حالة الضوضاء التي احتلت المجتمع مع بداية هذا العصر والتلوث السمعي".

كان وراء اكتشاف عمرو دياب، حيث أقنعه بنزول القاهرة ودراسة الموسيقى وقدمه للجمهور في ألبوم «يا طريق»

يعتبر هاني شنودة أول من قدم محمد منير حيث لحن له أربع أغان في أول ألبوماته "علموني عنيكي" وقام بتوزيع أغاني الألبوم كاملة، كما لحن له في الألبوم الثاني "بنتولد" ثمانية أغان ووزع الألبوم كاملا.

تحدث منير قائلا "بدأنا معا، ورحلتنا الفنية كانت مليئة بالإبداع، فقد كنت حنجرته التي يغني بها كلمة جديدة من قاموس الأغاني، غنينا معا 'علموني عنيكي' و'أمانة يا بحر' و'بنتولد' و'غريبة' و قدمنا للفنانة الكبيرة نجاة 'أنا بعشق البحر' والعديد من أغاني المسلسلات والأفلام".

وتابع "صوتي حمل رسائله ورسائل عبدالرحيم منصور الجديدة التي آمنا بها. مشوارنا معا حمل كل جديد ومختلف، فقبل أن نلتقي كان هاني شنودة ورفاقه منغمسين بالموسيقى الغربية، معا قدمنا موسيقى وشكل غناء جديد وشاركنا التجربة كبار المبدعين عبدالرحيم منصور ومجدي نجيب وعبدالعظيم عويضة وأحمد منيب".

كان هاني شنودة وراء اكتشاف عمرو دياب. تم ذلك في إحدى حفلات فرقة المصريين في بورسعيد، أقنعه بنزول القاهرة ودراسة الموسيقى وقدمه للجمهور في ألبوم "يا طريق" حيث لحن له أربع أغان، كما عرف عمرو بالعديد من الشعراء والملحنين مثل صلاح جاهين وعبدالرحيم منصور وشوقي حجاب وعزيز الناصر.

أول أغنية قدمها دياب كانت من ألحان هاني شنودة سنة 1983، واسمها "الزمن"، كما ساهم شنودة في تقديم عمرو دياب لشركات الإنتاج، قبل أن ينطلق بأول ألبوماته ويبدأ مشواره الذي جعله واحدا من أهم نجوم الغناء العربي، وبعد سنوات أكد شنودة أنه يعتبر عمرو "واحدا من أولاده"، وأنه لا ينتظر منه رد الجميل، لأن نجاحه هو أكبر مكافأة بالنسبة إليه.

في مقابلة تلفزيونية تحدث شنودة عن الفنان عمرو دياب، قائلا "عمرو دياب خبط عليا فتحتله الباب بالبيجامة وقالي عايز أبقى مطرب بس قولتله عندك مشكلة إن قاعد في بورسعيد، وصحيت الصبح الأتوبيس راجع على القاهرة لقيته واقف في وسط الفرقة، وأنا فيا نوع من الأبوة زيادة قولتله إنت أي جايبك هنا". وأضاف "عمرو دياب رد قالي أنا جاي معاكم مصر، سألته عندك حد تقعد معاه أو قريبك؟ قالي ملكش دعوة أنا جاي بالمنتج بتاعي ومستنينا في مصر، كان عنده تقريبا 20 سنة"، مردفا "عمرو دياب وقتها عنيه كان فيها لمعة الإصرار أنا مش راجع بورسعيد تاني، أنا مش هرجع لحياتي الأولانية، طبعا جه معانا وأنا أتوسطله ودخلناه معهد الموسيقى العربية، واحد إداني تليفون قالي الشخص اللي إنت متبنيه واسمه عمرو دياب هو مش اسمه عمرو وأنا مش هينفع أقول هو اللي يقول، بس اسم العيلة دياب، سألته في أي قالي سايب المعهد وبيلعب كرة وهيترفد".

العرب
الخميس 2026/07/23
السنة 49 العدد 13868

الأدوية المغشوشة... تهديد عابر للحدود

كيف اخترقت عصابات التزوير أكثر الأنظمة الصحية صرامة

لم تعد الأدوية المغشوشة مجرد ظاهرة هامشية أو سوق سوداء بعيدة. إنها صناعة عابرة للحدود تهدد الثقة في المؤسسات الصحية، وتكشف هشاشة سلاسل الإمداد العالمية. هذا المقال يتتبع جذور الظاهرة وتحوّلاتها، ويستعرض كيف أصبحت أزمة ثقة قبل أن تكون أزمة دواء، وكيف يواجهها العالم بين أوروبا المتقدمة والفضاء العربي المتنوع في قدراته الرقابية.

أكثر من مجرد تقليد لعلامة تجارية

العرب - في صباح بدا عاديًا داخل أحد المراكز اللوجستية قرب مدينة ميلانو الإيطالية، لم يكن موظفو الجمارك يدركون أنهم على وشك كشف واحدة من أكبر شبكات تهريب الأدوية في أوروبا. مئات الطرود التي بدت للوهلة الأولى شحنات تجارية اعتيادية كانت تحمل أدوية تحمل أسماء شركات عالمية معروفة، وأرقام الدفعات (Batch Numbers) مطابقة للسجلات الرسمية، وعبوات يصعب تمييزها عن الأصلية. لكن الفحص المخبري كشف حقيقة مختلفة تمامًا؛ فالمحتوى لم يكن سوى خليط من مواد مجهولة، بعضها لا يحتوي على أي مادة فعالة، وبعضها الآخر يحتوي على جرعات خطيرة قد تتحول من علاج إلى سم بطيء.

لم تكن تلك الواقعة استثناءً، بل جزءًا من ظاهرة تتسع عامًا بعد آخر، حتى دفعت الوكالة الأوروبية للأدوية (EMA) ويوروبول ومنظمة الصحة العالمية إلى التحذير من أن تجارة الأدوية المغشوشة لم تعد نشاطًا هامشيًا يقتصر على الأسواق الفقيرة أو الدول ذات الرقابة الضعيفة، بل أصبحت تحديًا مباشرًا لأكثر الأنظمة الصحية تقدمًا في العالم، مستفيدة من العولمة، والتجارة الإلكترونية، وسلاسل الإمداد العابرة للقارات، والثغرات التنظيمية التي يصعب سدها بالكامل.

> الأدوية المغشوشة لم تعد ظاهرة هامشية بل صناعة عالمية تهدد الثقة بالأنظمة الصحية وتكشف هشاشة سلاسل الإمداد

ولسنوات طويلة، ساد اعتقاد بأن الأسواق الأوروبية محصنة ضد هذا النوع من الجرائم، بفضل منظومة رقابية دقيقة تشمل التصنيع والتوزيع والتتبع الإلكتروني للأدوية. غير أن الوقائع أثبتت أن صرامة التشريعات وحدها لا تكفي عندما تواجه شبكات إجرامية عابرة للحدود تمتلك قدرات مالية وتقنية تضاهي في بعض الأحيان قدرات الشركات الشرعية نفسها.

صناعة عالمية

لقد تغيرت طبيعة المشكلة جذريًا. ففي الماضي، كانت الأدوية المزيفة ترتبط غالبًا بمنتجات تُباع سرًا، مثل المنشطات الجنسية أو العقاقير المنشطة لبناء العضلات أو أدوية التخسيس. أما اليوم، فقد أصبحت تستهدف أدوية علاج السرطان، والسكري، وأمراض القلب، والمضادات الحيوية، والأدوية البيولوجية مرتفعة الثمن. وهذا التحول يجعل القضية أكثر خطورة، لأن الضحايا لم يعودوا يبحثون عن منتجات خارج النظام الصحي، بل هم مرضى يعتمدون على العلاج للبقاء على قيد الحياة. وتحذر الوكالة الأوروبية للأدوية من أن التزييف لم يعد يقتصر على تقليد العبوة الخارجية، بل أصبح يشمل تزوير وثائق المنشأ، وأرقام التشغيلات، وسجلات النقل، وحتى الرموز الرقمية المستخدمة في أنظمة التتبع الحديثة. وبذلك لم تعد المشكلة مجرد تقليد لعلامة تجارية، بل محاولة لاختراق منظومة الثقة التي يقوم عليها القطاع الدوائي بأكمله.

وتكشف بيانات يوروبول أن الجريمة الدوائية أصبحت من أسرع الأنشطة الإجرامية نموًا داخل الاتحاد الأوروبي، مع توسع شبكات الإنتاج داخل أوروبا نفسها، بعد أن كانت تعتمد أساسًا على الاستيراد من آسيا أو أوروبا الشرقية. وهذا التطور يعكس تحولًا مهمًا في طبيعة الجريمة؛ فالمصانع السرية لم تعد بعيدة عن المستهلك، بل أصبحت أقرب إلى الأسواق التي تستهدفها، مستفيدة من سهولة الحركة داخل السوق الأوروبية الموحدة، ومن الفوارق التنظيمية بين الدول الأعضاء.

وتشير منظمة الصحة العالمية إلى أن تجارة المنتجات الطبية المغشوشة وغير المطابقة للمواصفات أصبحت صناعة عالمية تقدر قيمتها بعشرات المليارات من الدولارات سنويًا، مستفيدة من الطلب المتزايد على الأدوية، وارتفاع أسعار بعض العلاجات، والنقص الذي تشهده الأسواق خلال الأزمات الصحية.

لكن الأخطر من الخسائر الاقتصادية هو الثمن الصحي. فالدواء المغشوش لا يعني فقط غياب المادة الفعالة، بل قد يحتوي على جرعات خاطئة، أو شوائب سامة، أو مواد تسبب مقاومة للمضادات الحيوية، وهي إحدى أخطر المشكلات الصحية التي تواجه العالم اليوم. وفي حالات الأمراض المزمنة، قد يمر فشل العلاج أشهرًا قبل أن يكتشف الطبيب أن السبب ليس المرض نفسه، بل الدواء الذي يتناوله المريض.

ولذلك لم تعد الهيئات الصحية الأوروبية تنظر إلى الظاهرة باعتبارها قضية تجارية أو جنائية فحسب، بل أصبحت تصنفها ضمن التهديدات الأمنية العابرة للحدود. فالأدوية المزيفة تضعف الثقة في المؤسسات الصحية، وتستنزف ميزانيات التأمين، وتفرض أعباء إضافية على المستشفيات، وتخلق سوقًا سوداء تتداخل فيها الجريمة المنظمة مع غسيل الأموال والتهرب الضريبي والاحتيال الإلكتروني.

وقد كشفت عملية نسقتها يوروبول بالتعاون مع سلطات إنفاذ القانون والهيئات الصحية في عشرات الدول الأوروبية، عن حجم الظاهرة الحقيقي. فالحملة أسفرت عن ضبط أكثر من 3.4 مليون قرص دوائي مزيف، وآلاف العبوات والأجهزة الطبية غير المطابقة للمواصفات، إضافة إلى تفكيك شبكات توزيع كانت تستخدم الإنترنت ومنصات التجارة الإلكترونية للوصول مباشرة إلى المستهلكين.

وتعززت هذه الصورة في عام 2026 عندما أعلن عن تفكيك شبكة إجرامية دولية امتدت عملياتها عبر خمس عشرة دولة، وحققت معاملات غير مشروعة تجاوزت 240 مليون يورو من خلال تسويق أدوية ومكملات غذائية مزيفة استهدفت مرضى يعانون أمراضًا خطيرة. وأظهرت التحقيقات أن الشبكة استخدمت مزيجًا من المنصات الرقمية، والشركات الوهمية، وسلاسل النقل المعقدة لإخفاء مصدر المنتجات وإضفاء مظهر الشرعية عليها.

هذه الوقائع تؤكد أن أوروبا لم تعد تواجه حالات فردية من الغش الدوائي، بل منظومة إجرامية متكاملة تتكيف بسرعة مع التكنولوجيا والأسواق، وتستغل كل ثغرة في النظام التجاري العالمي. والأهم أنها تكشف أن مفهوم "الدواء الآمن" لم يعد مرتبطًا بالدولة التي يباع فيها، بل بالقدرة على مراقبة الرحلة الكاملة للمنتج، منذ المواد الخام وحتى وصوله إلى يد المريض.

غير أن السؤال الأكثر إلحاحًا لا يتعلق فقط بكيفية دخول هذه المنتجات إلى الأسواق الأوروبية، بل بكيفية تمكنها من عبور واحدة من أكثر سلاسل الإمداد تعقيدًا ورقابة في العالم دون أن تُكتشف في الوقت المناسب. فمن أين تبدأ رحلة الدواء المغشوش؟ وكيف تتحول شبكة التوريد العالمية، التي يفترض أن تكون ضمانة للجودة، إلى نقطة ضعف تستغلها الجريمة المنظمة؟

سلاسل التوريد

إذا كان السؤال الأول هو: كيف وصلت الأدوية المغشوشة إلى أوروبا؟ فإن السؤال الأكثر تعقيدًا هو: كيف نجحت في عبور واحدة من أكثر المنظومات الرقابية صرامة في العالم؟

الإجابة لا تكمن في ضعف القوانين، بل في تعقيد سلاسل التوريد العالمية نفسها. فصناعة الدواء لم تعد عملية تبدأ في مصنع واحد وتنتهي في صيدلية واحدة، وإنما أصبحت شبكة دولية مترابطة، تتوزع حلقاتها بين عشرات الدول، حيث تُصنع المادة الفعالة في بلد، وتُنتج العبوات في بلد آخر، ويجري التغليف في دولة ثالثة، قبل أن تمر الشحنة عبر مراكز توزيع متعددة حتى تصل إلى المستهلك النهائي.

هذا التشابك الهائل خلق بيئة مثالية لتسلل المنتجات المغشوشة أو غير المطابقة للمواصفات.

اقتصاد عالمي معقد

تشير بيانات الوكالة الأوروبية للأدوية والاتحاد الأوروبي إلى أن نسبة كبيرة من المواد الخام الدوائية المستخدمة في أوروبا تُنتج خارج القارة، خصوصًا في الهند والصين، اللتين أصبحتا خلال العقدين الماضيين أكبر موردي المواد الفعالة للصناعة الدوائية العالمية.

ولا يعني ذلك أن هذه المنتجات غير آمنة بطبيعتها؛ فمعظمها يُنتج وفق معايير عالية، لكن طول سلسلة الإمداد يجعل الرقابة أكثر تعقيدًا، ويمنح المحتالين فرصًا عديدة للتدخل في مراحل مختلفة.

فقد يُستبدل المنتج أثناء التخزين، أو تُعاد تعبئته داخل مخازن وسيطة، أو تُغيَّر ملصقاته ووثائقه قبل دخوله إلى السوق الأوروبية.

ولهذا لم تعد عمليات الغش تقتصر على مصانع سرية تنتج أدوية مزيفة بالكامل، بل أصبحت تشمل أيضًا أدوية أصلية جرى تخزينها بطريقة خاطئة، أو انتهت صلاحيتها ثم أعيد تدويرها، أو نُقلت في ظروف أفقدتها فعاليتها العلاجية.

وهنا تكمن الخطورة، لأن الدواء يبدو للمريض أصليا تماما، بينما يكون تأثيره الطبي مختلفا تماما.

التجارة الإلكترونية... الثغرة الأكبر

لكن أكبر تحول شهدته تجارة الأدوية خلال السنوات الأخيرة جاء مع الطفرة الرقمية.

فبعد جائحة كورونا، تضاعفت مبيعات الأدوية عبر الإنترنت بصورة غير مسبوقة، مستفيدة من تغير سلوك المستهلكين واعتمادهم المتزايد على الشراء الإلكتروني.

غير أن هذا التحول فتح الباب أيضًا أمام آلاف المواقع غير المرخصة التي تعرض أدوية بأسعار تقل كثيرًا عن الأسعار الرسمية، مستهدفة المرضى الباحثين عن علاج سريع أو أقل كلفة.

وتقدّر تقارير أوروبية أن نسبة كبيرة من المواقع الإلكترونية التي تبيع الأدوية لا تمتلك أي ترخيص صحي، بينما تستخدم تصميمات وشعارات توحي بأنها صيدليات قانونية.

وتزداد الخطورة عندما يتعلق الأمر بأدوية الأمراض المزمنة، أو علاجات السرطان، أو أدوية فقدان الوزن والمنشطات الجنسية، التي تُعد الأكثر استهدافًا من قبل شبكات التزوير.

ففي كثير من الحالات، يعتقد المريض أنه اشترى الدواء من منصة أوروبية موثوقة، بينما تكون الشحنة قد أُرسلت من مستودعات تقع خارج أوروبا تمامًا.

ولا تقف المشكلة عند المواقع الإلكترونية.

ففي كثير من الأحيان، تمر الشحنة عبر سلسلة طويلة من الوسطاء والموزعين والمستوردين الفرعيين، بحيث يصبح من الصعب تتبع المصدر الحقيقي للمنتج.

فكل حلقة جديدة في سلسلة التوزيع تعني وثائق إضافية، ومستودعات إضافية، وعمليات نقل إضافية، وفرصة جديدة للتلاعب.

وقد كشفت عدة تحقيقات أوروبية أن بعض الشبكات الإجرامية لا تقوم بتزوير الدواء نفسه، بل تشتري عبوات أصلية فارغة، ثم تعيد تعبئتها بمواد مختلفة، قبل إعادتها إلى السوق عبر موزعين قانونيين يجهلون حقيقة المنتج.

> تجارة الأدوية المزيفة تستغل التجارة الإلكترونية والوسطاء لتصل مباشرة إلى المرضى محولة العلاج إلى خطر صامت

وهذا النوع من الاحتيال يصعب اكتشافه بالعين المجردة، لأن العبوة نفسها أصلية، ورقم التشغيل قد يكون صحيحًا، وحتى الشريط الخارجي يبدو مطابقًا للمواصفات.

تُظهر قواعد بيانات التجارة الدولية أن شحنات الأدوية تنتقل اليوم بين عشرات الموانئ والمطارات قبل وصولها إلى المستهلك.

وقد تمر الشحنة الواحدة عبر أكثر من مركز لوجستي في آسيا والشرق الأوسط وأوروبا.

هذه الطبيعة العابرة للحدود تجعل مسؤولية الرقابة موزعة بين سلطات جمركية متعددة، لكل منها قواعدها وإمكاناتها.

ولهذا ترى أجهزة مكافحة الاحتيال الأوروبية أن المهربين يستغلون الفجوات القانونية بين الدول أكثر مما يستغلون ضعف الرقابة داخل الدولة الواحدة.

فإذا اشتدت الرقابة في ميناء معين، تنتقل الشبكات إلى ميناء آخر.

وإذا أغلقت دولة منفذًا إلكترونيًا، تظهر عشرات المنصات الجديدة خلال أيام قليلة. إنها لعبة مستمرة بين السلطات وشبكات الجريمة، تستخدم فيها التكنولوجيا بالسرعة نفسها التي تستخدمها المؤسسات الرسمية.

خلال السنوات الأخيرة، أصبحت البيانات الضخمة أداة رئيسية في كشف هذه الشبكات.

فبدل الاكتفاء بتفتيش الشحنات يدويًا، باتت الهيئات الأوروبية تربط بين قواعد بيانات الجمارك، وسجلات الشحن البحري، وأرقام التشغيل الدوائية، وقواعد بيانات الشركات المصنعة، لرصد أي تناقض في حركة المنتج.

فإذا ظهر أن دفعة دوائية واحدة بيعت في ثلاث دول مختلفة في الوقت نفسه، أو أن كمية معينة خرجت من المصنع بأرقام أقل مما ظهر في السوق، تبدأ أنظمة التحليل الآلي بإطلاق إشارات تحذير. كما أصبحت تقنيات الذكاء الاصطناعي تُستخدم لتحليل ملايين السجلات التجارية واكتشاف الأنماط غير الطبيعية التي قد تشير إلى وجود عمليات تزوير أو إعادة تدوير غير قانونية.

لكن، رغم هذا التطور، يعترف خبراء الأمن الدوائي بأن التكنولوجيا وحدها لا تكفي. فالبيانات تكشف الشبهة، لكنها لا توقف الشبكات، ما لم يصاحبها تعاون قضائي وأمني عابر للحدود، وتشريعات أكثر صرامة، وآليات أسرع لتبادل المعلومات بين الدول. وهنا تتضح المفارقة الكبرى: فكلما أصبحت سلاسل التوريد أكثر عالمية، أصبحت مواجهة الأدوية المغشوشة أكثر تعقيدًا. ولم تعد القضية تتعلق بمصنع سري أو صيدلية مخالفة، بل بمنظومة اقتصادية عالمية تتحرك بسرعة تفوق في كثير من الأحيان سرعة أجهزة الرقابة نفسها.

ولذلك لم يعد السؤال المطروح داخل أوروبا هو كيف نمنع دخول الأدوية المغشوشة؟ بل كيف نعيد بناء منظومة تتبع دوائي قادرة على ملاحقة المنتج من لحظة تصنيع مادته الخام حتى وصوله إلى يد المريض؟ لأن أمن الدواء لم يعد يبدأ في الصيدلية، بل في أول حلقة من سلسلة توريد تمتد عبر القارات.

إذا كانت أوروبا، بكل إمكاناتها التقنية والقانونية، لا تزال تواجه هذه المشكلة، فإن التحدي في العالم العربي يبدو أكثر تعقيدًا. فالمنطقة تضم أنظمة رقابية متفاوتة للغاية.

بعض الدول تمتلك هيئات دوائية متقدمة وإجراءات صارمة، بينما تعاني دول أخرى من ضعف البنية الرقابية، وتعدد جهات الاستيراد، وهشاشة الحدود البرية، وانتشار التجارة غير النظامية وضعف الرقمنة في القطاع الصحي.

وتشير تقارير صادرة عن منظمة الصحة العالمية إلى أن البلدان منخفضة ومتوسطة الدخل تتعرض لنسب أعلى من المنتجات الطبية دون المستوى أو المغشوشة مقارنة بالدول ذات الرقابة الأقوى، مع تضرر خاص للأدوية المنقذة للحياة مثل المضادات الحيوية ومضادات الملاريا وبعض أدوية السرطان.

شبكات إجرامية عابرة للحدود

العرب
الخميس 2026/07/23
السنة 49 العدد 13868

تحت مجهر الفيفا.. أوناحي وصيباري أبرز نجوم القارة السمراء في مونديال 2026

5 نجوم عرب يتوهجون على المسرح العالمي

اختار الاتحاد الدولي لكرة القدم (فيفا) خمسة لاعبين عرب ضمن أبرز نجوم قارة أفريقيا في كأس العالم 2026، بعد المستويات التي قدموها مع منتخبات المغرب ومصر والجزائر، إذ ضمت القائمة المغربيين عزالدين أوناحي وإسماعيل صيباري، والمصريين إمام عاشور ومصطفى شوبير، والجزائري إبراهيم مازا.

واشنطن - توهج عدد من اللاعبين الأفارقة مع منتخبات بلادهم في بطولة كأس العالم 2026. اختتمت البطولة مساء الأحد بتتويج إسبانيا باللقب بالفوز 1 – 0 على الأرجنتين في النهائي يوم الأحد، ليسدل الستار بذلك على 104 مباريات كانت عامرة بالإثارة والتشويق. وسلط الاتحاد الدولي لكرة القدم "فيفا" الضوء على أبرز النجوم الأفارقة الذين لمعوا خلال مشاركة 10 منتخبات من القارة السمراء خلال هذه النسخة.

وأشار الفيفا إلى أن المغربي عزالدين أوناحي واصل تألقه الممتد من مونديال قطر 2022، وبخلاف مهاراته في خط الوسط، فإن مفعوله تضاعف بتسجيله الأهداف. أوضح التقرير أن أوناحي سجل ثنائية في الفوز 3 – 0 على كندا، ليؤهل أسود الأطلس لدور الثمانية للمرة الثانية على التوالي، ليحقق المغاربة رقما قياسيا على المستوى الأفريقي.

> إمام عاشور حصل على جائزة أفضل لاعب في مباراة مصر وبلجيكا التي انتهت بالتعادل 1 – 1، حيث سجل الهدف الوحيد وكان مفاجأة مصر

انطلق إسماعيل صيباري المهاجم المغربي المنضم حديثا إلى صفوف بايرن ميونخ الألماني بأداء مذهل حيث هز الشباك في جميع مباريات الدور الأولى، محققا رقما قياسيا للاعب أفريقي. وبفضل مستواه المميز، تواجد صيباري ضمن أفضل ثلاثة هدافين أفارقة في مونديال 2026، والتواجد ضمن أفضل 20 لاعبا في البطولة وفقا لتصنيف الفيفا، علما بأنه سجل أحد أسرع أهداف البطولة بعد مرور 71 ثانية من مواجهة أسكتلندا.

وقدم المنتخب المغربي أيضا لاعبين مميزين خلال مشواره في البطولة مثل لاعب الوسط الشاب، أيوب بوعدي، البالغ من العمر 18 عاما أو أشرف حكيمي الذي أثبت أنه من أفضل لاعبي العالم في مركز الظهير الأيمن.

نجاح مبهر

شهدت بطولة كأس العالم 2026 نجاح العديد من المنتخبات في استغلال السنوات الأربع التي سبقت البطولة للارتقاء بمستواها والتحول إلى منافسين حقيقيين على الساحة الدولية. ورغم أن أربع سنوات قد لا تبدو فترة طويلة، لكنها تحمل في طياتها الكثير للمنتخبات الطامحة للوصول إلى قمة العطاء الكروي. ولا شك أن المنتخبات التي كانت تنافس على اللقب في البطولة الأخيرة ستكون حاضرة بقوة في النسخة القادمة عام 2030، لكن عدد الفرق القادرة على مفاجأة الكبار يزداد مع كل بطولة جديدة.

ومع هدوء الأجواء بعد نهاية المونديال، تتجه الأنظار نحو النسخة المقبلة التي ستقام بتنظيم مشترك بين المغرب والبرتغال وإسبانيا، إضافة إلى أوروغواي والأرجنتين وباراغواي في إطار الاحتفال بمئوية كأس العالم. وكان المنتخبان المغربي والإسباني من بين أصغر عشرة منتخبات من حيث متوسط أعمار اللاعبين في النسخة الأخيرة للمونديال، وأثبت المنتخب المغربي أن ما حققه ليس وليد المصادفة، حيث إن التركيز الكبير على تطوير الفئات السنية والاهتمام بالجانب الفني والتقني من شأنه أن يؤتي ثماره بشكل أكبر في النسخة القادمة، لاسيما مع الاستفادة من عامل الأرض والجمهور.

أما بالنسبة للمنتخب الإسباني الذي فرض سيطرته وتُوج باللقب، فإن امتلاكه لتشكيلة شابة واعدة مرشحة للوصول إلى مرحلة النضج الكروي الكامل يمثل دافعاً إضافياً لمواصلة التألق، وهو ما أكده مدربه لويس دي لا فوينتي، مشيرا إلى أن هذا الفريق يمتلك عزيمة صلبة لا تلين.

حصل إمام عاشور على جائزة أفضل لاعب في مباراة مصر وبلجيكا التي انتهت بالتعادل 1 – 1، حيث سجل الهدف الوحيد وكان مفاجأة مصر في كأس العالم. وسجل إمام هدفا ثانيا في مباراة أستراليا بدور الـ32 التي حسمها الفراعنة بركلات الترجيح بعد التعادل 1 – 1، ليدخل النجم المصري ضمن قائمة أفضل 30 لاعبا في تصنيف الفيفا.

ولمع أيضا بصفوف منتخب مصر حارسه مصطفى شوبير بأداء مميز في أكثر من مباراة، أبرزها تصديه لركلة جزاء من ليونيل ميسي في مباراة دور الـ16 التي انتهت بفوز الأرجنتين 3 – 2. وبدأ الفيفا تقريره بالإشارة إلى فوزينيا حارس مرمى وقائد منتخب الرأس الأخضر، البالغ من العمر 40 عاما، والذي لم يكن لاعبا معروفا، ولكنه تألق بأداء بطولي في المباراة الأولى أمام إسبانيا، وأصبح بطلا قوميا بفضل تصدياته المميزة وخروجه بشباك نظيفة أمام أبطال العالم لاحقا.

ولم يتغير أداء فوزينيا مع تصاعد شعبيته وارتفاع عدد متابعيه على إنستغرام من 50 ألفًا إلى ما يقارب 30 مليونًا في غضون أيام قليلة بل واصل تألقه في مباراتين أمام بطلي العالم السابقين، حيث ساهم في تعادل منتخب بلاده مع أوروغواي بنتيجة 2 – 2، بينما خسر "القروش الزرقاء" بصعوبة بالغة أمام الأرجنتين بنتيجة 2 – 3.

وأشار الفيفا أيضا إلى أن منتخب كوت ديفوار قدم أداء مقنعا وحقق إنجازا تاريخيا بوصوله إلى الأدوار الإقصائية لأول مرة في تاريخه بفضل تألق مهاجمه الشاب يان ديوماندي البالغ من العمر 19 عاما. وأضاف أن ديوماندي أظهر قدراته منذ المباراة الأولى التي انتهت بفوز بلاده على الإكوادور 1 – 0، حيث اتسم بالمهارة والمراوغات والانطلاقات السريعة الخاطفة والكرات العرضية المتقنة، ليربك المنافسين ويمتع الجماهير.

كما أثبت زميله أماد ديالو، جدارته سواء بالمشاركة أساسيا أو بديلا، وأنعش اللاعب البالغ من العمر 24 عاما هجوم الأفيال، حيث سجل الهدف الوحيد أمام الإكوادور، وعاد ليكرر الأمر أمام النرويج، ولكن لم يكن هدفه كافيا للصعود إلى دور الـ16 بل خسر المنتخب الإيفواري بنتيجة 1 – 2. وبرز أيضا في صفوف المنتخب الإيفواري لاعب الوسط الشاب كريس إيناو أولاي، الذي تألق في مواجهة ألمانيا أو فرانك كيسيه قائد الفريق أو نيكولاس بيبي الذي سجل هدفين في الفوز على كوراساو.

بصمة واضحة

رغم خروج منتخب السنغال من دور الـ32، إلا أنه ترك بصمة لا تُنسى بفضل قوة هجومه، حيث سجل 10 أهداف نصفها تقريبا لمهاجمه إسماعيلا سار. أصبح سار مهاجم كريستال بالاس الإنجليزي هداف أفريقيا في مونديال 2026 بتسجيله 4 أهداف في 4 مباريات، وكان لاعبا مزعجا لدفاع المنافسين بفضل جهده البدني وسرعاته.

ومن صفوف السنغال، ظهر أيضا بابي جاي لاعب فياريال الإسباني بفضل مجهوده الوفير في خط الوسط خاصة في الفوز 5 – 0 على العراق، حيث سجل هدفين رائعين، ليفوز بجائزة رجل المباراة.

درب ناجح

ويتسم جاي لاعب لوهافر وأولمبيك مارسيليا السابق بالهدوء والذكاء في قراراته، ولديه كافة المقومات التي تؤهله ليكون ركيزة أساسية في صفوف أسود التيرانغا.

بعد غياب الكونغولي يوان ويسا عن الملاعب لخمسة أشهر بسبب الإصابة الموسم الماضي، استعاد مهاجم نيوكاسل الإنجليزي مستواه في كأس العالم 2026. وحصل ويسا على جائزة أفضل لاعب في فوز الكونغو الديمقراطية على أوزبكستان 3 – 1، بفضل تسجيله هدفين ساهما في تأهل بلاده للأدوار الإقصائية لأول مرة.

كما سجل المهاجم الكونغولي هدفا في مرمى البرتغال في مباراة الجولة الأولى التي انتهت بالتعادل 1 – 1، وأصبح الهداف التاريخي لمنتخب بلاده في المونديال برصيد 3 أهداف. ورغم الأداء المخيب لمنتخب الجزائر، إلا أن لاعبه إبراهيم مازا تألق في مونديال 2026، حيث تألق اللاعب الشاب في الفوز 2 – 1 على الأردن، وفاز بجائزة رجل المباراة. واعتلى مازا لاعب ليفركوزن الألماني قائمة الأكثر مراوغة في دور المجموعات بـ12 مراوغة، ووصل المعدل إلى 14 مراوغة بانتهاء مشوار بلاده في البطولة.

وشهدت البطولة تقييما مستمرا لأسواق المراهنات والأنشطة داخل الملاعب عبر نظام مركزي لجمع البيانات والتقارير وتبادلها بين أعضاء الفريق؛ لضمان التعامل السريع والمنسق مع أي تنبيهات محتملة.

وضم فريق العمل المعني بالنزاهة ممثلين عن الاتحادات القارية الستة، والاتحادات الوطنية للبلدان المستضيفة، إلى جانب هيئات أمنية وقانونية دولية شملت مكتب التحقيقات الفيدرالي والإنتربول ومكتب الأمم المتحدة المعني بالمخدرات والجريمة ومجلس أوروبا ووزارة العدل الأميركية، بالإضافة إلى شركات متخصصة في تحليل بيانات المراهنات والنزاهة الرياضية.

وأوضح ليام ريتش، كبير مديري قسم النزاهة في الفيفا، أن الفريق وفر إطارا قويا لتبادل المعلومات، وتقييم المخاوف، وتنسيق الاستجابة خلال البطولة. وأضاف ريتش أن فريق الفيفا المعني بالنزاهة وفر إطارا قويا خلال كأس العالم 2026 لتبادل المعلومات، وتقييم أي مخاوف محتملة، وتنسيق الاستجابة في الوقت المناسب.

بوصلة دي لا فوينتي ترسم هوية جديدة للمنتخب الإسباني

مدريد - يملك منتخب إسبانيا بقيادة مديره الفني لويس دي لا فوينتي المؤهلات بعد أربع سنوات لتكرار إنجازه التاريخي بالتتويج بمونديال 2026. واحتفل لاعبو إسبانيا بالتتويج باللقب عن جدارة واستحقاق، ليحقق الماتادور لقبه العالمي الثاني، ولكن يبرز التساؤل: هل يستطيع هذا المنتخب تكرار إنجازه في نسخة 2030؟ وقال الاتحاد الدولي لكرة القدم "فيفا" عبر موقعه الرسمي إن التنبؤ بما قد يحدث بعد أربع سنوات، سيكون محاطا ببعض التحفظات، ولكن منتخب إسبانيا مؤهل لأن يكون أول منتخب يحقق كأس العالم مرتين متتاليتين لأول مرة منذ 64 عاما.

وأشار فيفا إلى أنه منذ أن احتفظت البرازيل باللقب عام 1962، فشل 15 منتخبا توجوا بكأس العالم في الحفاظ على اللقب بعد أربع سنوات، حيث وصلت الأرجنتين إلى نهائي مونديالي 1990 و2026، والبرازيل في 1998، وفرنسا في 2022، لكن المنتخبات الثلاثة فشلت في مساعيها للقب ثان على التوالي.

وأجاب تقرير "فيفا" على تساؤل لماذا يمكن لإسبانيا أن تؤمن بقدرتها على التتويج بلقب مونديال 2030، مشيرا إلى أن دي لا فوينتي لديه العديد من الاعتبارات التي تثير التفاؤل أكثر من أي بطل سابق يسعى للاحتفاظ بلقبه بعد أربع سنوات. لا تضمن استضافة البطولة النجاح أبدا، لكن عاملي الأرض والجمهور يساعدان على تقديم المنتخبات المستضيفة أفضل أداء بسبب الأجواء المألوفة وحماس الجماهير والفوارق الطفيفة التي تحسم مباريات المونديال، وكلها عوامل تصب في مصلحة إسبانيا.

فاز منتخب إسبانيا بكأس العالم بـ11 لاعبا أعمارهم 25 عاما على الأكثر إضافة إلى 8 لاعبين فقط أعمارهم 30 عاما على الأقل. وتعد العناصر الشابة مثل باو كوبارسي، لامين يامال، بيدري، جافي، مارك بوبيل، إريك جارسيا، فيكتور مونيوز، وغيرهم، ركائز أساسية في الوقت الحالي والمستقبل، ومن السهل تخيل تألقهم مجددا في 2030.

عرفت إسبانيا هويتها في كرة القدم منذ ما قبل بطولة أمم أوروبا يورو 2008. يتجاوز أسلوب إسبانيا القدرات الفردية للاعبيها، رغم أن ركائز الوسط ساهموا في الحفاظ على هذه الهوية على مدار 18 عاما. لا يعد الاستحواذ على الكرة مجرد أسلوب تكتيكي لإسبانيا بل هو لغة وإيقاع، يمنحها التفوق على باقي منافسيها الذين يبحثون عن وصفة سحرية.

تسلم دي لا فوينتي منتخب إسبانيا وهو فريق يبحث عن تصحيح مساره في 2023، ونجح في غضون ثلاث سنوات في تحويل منتخب إسبانيا إلى بطل أوروبا والعالم. يمتد عقد دي لا فوينتي حتى يونيو 2028، مع توقعات بتمديده ليضمن استمراره في منصبه حتى مونديال 2030 على الأقل، واستمراره سيكون أحد أسباب التفاؤل بشأن قدرة إسبانيا على تكرار إنجازها. وفي سياق متصل أقر ليساندرو مارتينيز مدافع الأرجنتين بأحقية منافسه منتخب إسبانيا بلقب كأس العالم لكرة القدم الذي حصل عليه مؤخرا بعد مباراة المنتخبين في نهائي البطولة. وشارك مارتينيز في خسارة الأرجنتين 0 – 1، حيث لم يُكمل شوط المباراة الأول بسبب إصابة تعرض لها في آخر الدقائق.

سلاح الخبرة

وقال مارتينيز، مدافع مانشستر يونايتد الإنجليزي، "بقلب مثقل لعدم تمكننا من جلب الكأس التي نستحقها جميعًا، ولكن بفخر عظيم لهذا القميص، ولزملائي في الفريق، ولِلجهاز الفني، وللإدارة، وللفريق الطبي، وللطهاة، ولمسؤولي المعدات، ولكل من ساهم في إنجاح هذا العمل على أكمل وجه. وقبل كل شيء، لكم أنتم الذين غمرتمونا بحبكم وقوتكم، وبشغفكم الذي يُميزنا، وبوحدة أمة أتمنى أن تدوم".

> منتخب إسبانيا فاز بكأس العالم بـ11 لاعبا أعمارهم 25 عاما على الأكثر إضافة إلى 8 لاعبين فقط أعمارهم 30 عاما على الأقل

وقال اللاعب عبر حسابه على منصة إكس "أريد أن أهنئ إسبانيا على لقبها المستحق". وتابع "إلى شعبنا، أقول إن النتيجة لا تُحدد مسيرتنا. واجهنا الصعاب، وحققنا المستحيل، ولم نبحث عن الأعذار، بل عن دوافع للاستمرار. دافعنا عن رايتنا خارج الملعب، وتقاسمنا لحظات لا تُنسى مع المنتخب الوطني، برفقة عائلاتنا، وبدعم لا يتزعزع من جميع الأرجنتينيين. سيبقى تمثيلكم فخرا عظيما لي". وختم قائلا "تذكروا أن سقوط العظماء فرحة للمتوسطين، شكرا جزيلا لكم جميعا. فلنحرص على بلدنا.. أحبكِ يا أرجنتين!".

برقم قياسي بريطاني.. روجرز من أستون فيلا إلى تشيلسي

لندن - أعلن ناديا تشيلسي وأستون فيلا المنافسان في الدوري الإنجليزي الممتاز لكرة القدم تعاقد تشيلسي مع الدولي الإنجليزي مورجان روجرز الذي قدم من أستون فيلا بعقد يمتد حتى عام 2033. وذكرت وسائل إعلام بريطانية أن قيمة الصفقة بلغت 117 مليون جنيه إسترليني (157 مليون دولار)، ما يجعل روجرز أغلى لاعب بريطاني في التاريخ.

ولم يكشف الناديان عن التفاصيل المالية للصفقة، لكن شبكة سكاي سبورتس أفادت بأن قيمتها تجاوزت المبلغ الذي دفعه مانشستر سيتي لنوتنجهام فورست مقابل لاعب الوسط إليوت أندرسون في وقت سابق من الشهر الجاري، والبالغ 116 مليون جنيه إسترليني. وكانت الصفقة الأغلى في تاريخ تشيلسي سابقا هي ضم لاعب الوسط الإكوادوري موزيس كايسيدو من برايتون آند هوف ألبيون مقابل 115 مليون جنيه إسترليني عام 2023.

وقال روجرز في بيان نشره النادي "أنا متحمس للغاية. بالنسبة إلي، تشيلسي هو أكبر ناد في لندن، وهو النادي الذي لطالما أعجبت به منذ طفولتي. أنا متحمس جدا للمشروع مع المدرب الجديد، وبمجموعة اللاعبين الموجودة، وللاتجاه الذي يسير فيه النادي. لهذا السبب جئت إلى هنا، ولا أطيق الانتظار لبدء العمل". ويرحل روجرز، الذي يجيد اللعب على الجناح وفي مركز صانع اللعب، عن أستون فيلا بعد عامين، بعدما ساهم في تتويج الفريق بلقب الدوري الأوروبي في مايو الماضي. كما هز الشباك في الفوز 3 – 0 على فرايبورغ في المباراة النهائية، ليمنح أستون فيلا أول لقب أوروبي كبير له منذ عام 1982.

وسجل اللاعب البالغ من العمر 23 عاما 31 هدفا في 125 مباراة بقميص أستون فيلا منذ انضمامه من ميدلسبره عام 2024، كما خاض مباراته الدولية الأولى مع منتخب إنجلترا في وقت لاحق من ذلك العام.

وشارك روجرز في سبع من أصل ثماني مباريات خاضها منتخب إنجلترا في كأس العالم، التي أنهاها منتخب "الأسود الثلاثة" في المركز الثالث. كذلك قدم أفضل مواسمه المحلية في الموسم الماضي، مسجلا 10 أهداف في الدوري الإنجليزي الممتاز. وسيستهل تشيلسي، الذي أنهى الموسم الماضي في المركز العاشر بالدوري الإنجليزي الممتاز، مشواره في الموسم الجديد بمواجهة فولهام خارج أرضه يوم 24 أغسطس.

ذكرت وكالة الأنباء البريطانية "بي أيه ميديا" أنه تم التوصل إلى الاتفاق على انتقال اللاعب السبت الماضي، ليتفوق تشيلسي على أرسنال الذي كان يجري مفاوضات متقدمة مع روجرز، وكان يعد المرشح الأبرز لضمه.

وذكرت تقارير أن فرصة العمل تحت قيادة الإسباني تشابي ألونسو، المدير الفني الجديد لتشيلسي، لعبت دورا حاسما في إقناع روجرز بالانتقال إلى ملعب ستامفورد بريدج، بعدما عاد مؤخرا من المشاركة مع منتخب إنجلترا في بطولة كأس العالم، حيث ساهم في احتلال المنتخب المركز الثالث. وشارك روجرز أساسيا في المباراة التي خسرها المنتخب الإنجليزي أمام الأرجنتين 1 – 2 في الدور نصف النهائي، قبل أن يساهم في الفوز المثير على فرنسا 6 – 4 في مباراة تحديد المركز الثالث.

العرب
الخميس 2026/07/23
السنة 49 العدد 13868

مهرجان جرش يستقبل عبق التراث الثقافي الصيني

تمنح الدورة الأربعون من مهرجان جرش جمهورها فرصة استثنائية لاكتشاف جوانب من الموروث الصيني، من خلال عروض موسيقية ورقصات مستوحاة من التاريخ الشعبي، بما يعكس أهمية التبادل الثقافي، ويؤكد أن الفن لغة عالمية قادرة على التقريب بين الحضارات المختلفة.

عروض نينغشيا تزين المهرجان

عمان - ستكون جنبات أعمدة مدينة جرش الأثرية بالأردن مسرحا ينبض بالتراث الثقافي الصيني، عندما تبدأ فرقة "نينغشيا" عروضها التي ينتظرها رواد مهرجان جرش للثقافة والفنون.

و"نينغشيا" فرقة فنية محترفة هدفها الحفاظ على التراث الثقافي الصيني الشعبي من خلال المسرح والرقص والموسيقى التقليدية، عبر عروض مبتكرة تجمع بين الأصالة والحداثة، سعيا لتعزيز التبادل الثقافي بين الصين والعالم.

وبدأت فعاليات المهرجان بإيقاد الشعلة رسميا الأربعاء، لتفتح المدينة الأثرية أبوابها للزوار والفعاليات ابتداء من بعد الخميس، وتستمر حتى الثاني من شهر أغسطس المقبل.

ويحرص مهرجان جرش في كل دورة على استضافة تجارب ثقافية من مختلف أنحاء العالم، انطلاقا من إيمانه بأن الثقافة لغة عالمية قادرة على بناء جسور التواصل بين الشعوب.

وتأتي المشاركة الصينية هذا العام لتمنح الجمهور الأردني والعربي فرصة للتعرف على جانب من الثقافة الصينية، بما تحمله من تاريخ عريق وفنون متنوعة.

وتحمل الدورة الأربعون للمهرجان أهمية خاصة، باعتبارها محطة تاريخية في مسيرته وانطلاقة لمرحلة جديدة ترتكز على شعار "إرث يمتد.. أجيال تلتقي"، الذي يجسد فلسفته في المحافظة على إرثه الثقافي، مع تطوير محتواه وتجربته بما يواكب تطلعات الأجيال الجديدة.

وعلى امتداد أربعة عقود، رسخ مهرجان جرش مكانته كمنصة دولية تستقطب فنانين من مختلف أنحاء العالم، وتقدم مختلف أشكال الفنون من موسيقى وغناء ومسرح ورقص ومعارض فنية وحرفية، الأمر الذي يجعله نافذة مهمة للتعريف بثقافات الدول المشاركة.

ووفق مدير عام المهرجان يزن الخضير، تشارك الصين بالمهرجان من خلال فرقة الفنون المسرحية لمنطقة نينغشيا التي تقدم مجموعة من العروض المستوحاة من التراث والثقافة الصينية، وتمزج بين الموسيقى والرقص والفنون الأدائية، بما يعكس التنوع الثقافي والغنى الحضاري الذي تتميز به الصين.

وقال الخضير لوكالة أنباء "شينخوا"، إن مشاركة الصين في فعاليات مهرجان جرش تأتي ضمن برنامج التبادل الثقافي الدولي للمهرجان، الذي يجمع فرقا وفنانين من مختلف دول العالم، ويتيح للجمهور التعرف على تجارب فنية متنوعة في أجواء تعزز الحوار الثقافي والانفتاح على الحضارات المختلفة.

وأضاف أن "المشاركة الصينية تنسجم مع رسالة مهرجان جرش في بناء جسور التواصل بين الشعوب من خلال الثقافة، وترسيخ مكانته بوصفه منصة دولية تجمع الإبداع الإنساني في مدينة جرش الأثرية، حيث يلتقي التاريخ بالحاضر، وتلتقي الثقافات المختلفة في فضاء واحد".

وحسب الخضير، ستشهد الدورة الجديدة للمهرجان أكثر من 220 فعالية ثقافية وفنية، إلى جانب إطلاق فضاءات جديدة مثل مسرح الهيبودروم، وممشى الفن، وسوق جراسا، والعروض ثلاثية الأبعاد، والبرامج المخصصة للأطفال والعائلات، بما يعكس رؤية المهرجان في تقديم تجربة ثقافية متكاملة ومتنوعة.

وأكد أن مشاركة الصين بالمهرجان تمثل نموذجا عمليا للتبادل الثقافي، وتتيح للجمهور الأردني التعرف على الفنون والتراث الصيني، وفي المقابل تمنح المشاركين الصينيين فرصة للتفاعل مع الثقافة الأردنية والعربية في واحدة من أعرق المدن الأثرية في العالم.

وبشغف واضح، ينتظر الشاب سليمان الهديبات انطلاق مشاركة الصين في فعاليات مهرجان جرش للثقافة والفنون، واضعا متابعتها على رأس الفعاليات التي يحرص على حضورها، رغبة في الاقتراب من واحدة من أقدم الحضارات الإنسانية وأكثرها ثراء.

ويأمل الهديبات، وهو في العشرينات من عمره، في أن تمنحه عروض مهرجان جرش فرصة لمشاهدة الفنون الصينية عن قرب، والتعرف إلى تفاصيل الفلكلور الصيني بما يحمله من أساطير وحكايات شعبية ورموز تعكس قيم الحكمة والانضباط والانسجام مع الطبيعة.

من جانبه، أكد المواطن الأردني جميل الخطيب أن هذه المشاركة تسهم في تعزيز التبادل الثقافي بين الأردن والصين، وتفتح آفاقا أوسع للتعاون في المجالات الثقافية والإبداعية والسياحية.

وقال إن الثقافة الصينية تعد من أقدم وأغنى الثقافات الإنسانية، بما تحمله من إرث حضاري وفنون تقليدية وحرف يدوية وموسيقى وفنون أداء متميزة.

من جانبها، أكدت المديرة العامة للمركز الوطني للثقافة والفنون الأردني لينا التل أن المشاركة الصينية في مهرجان جرش للثقافة والفنون تمثل فرصة مهمة لتعريف الجمهور الأردني والعربي بجمال الثقافة الصينية وتنوعها، مؤكدة أن الفنون والثقافة تشكلان إحدى أبرز أدوات تعزيز التقارب بين الشعوب.

علماء يرصدون آثار انفجار مزدوج لنجمين في درب التبانة

واشنطن - على عكس شمسنا، فإن أغلب النجوم الكبرى في الكون لا توجد منفردة، بل تولد جنبا إلى جنب مع نجم آخر في ما يسمى نظاما ثنائيا، وتظل حتى النهاية مرتبطة بفعل الجاذبية في "زواج كوني".

لكن حتى أفضل الزيجات –سواء على الأرض أو في الفضاء– قد لا تدوم إلى الأبد.

فقد اكتشف العلماء الآن ولأول مرة دليلا على وجود نجمين ضخمين من نظام ثنائي نفد وقودهما وانفجرا بعنف في غضون فترة زمنية قصيرة نسبيا، تاركين وراءهما سحابتين من الغاز المتوهج، تعرف بالسديم، دليلا على أنهما كانا موجودين.

ويعرف الانفجار الهائل لنجم في نهاية حياته بظاهرة المستعر الأعظم أو "السوبرنوفا".

وإحدى هاتين السحابتين من أشهر السدم في مجرتنا درب التبانة، وتسمى "سديم قنديل البحر" بسبب تشابهها مع هذا الكائن البحري.

واستنادا إلى مراقبة دامت أكثر من 16 عاما بواسطة التلسكوب "فيرمي" الفضائي الذي يرصد أشعة جاما والتابع للإدارة الوطنية للملاحة الجوية والفضاء (ناسا)، التابعة للحكومة الفيدرالية للولايات المتحدة، عثر الباحثون على أدلة على وجود سديم ثان قريب نسبيا، وهو ما ساعدهم في التوصل إلى أن سديم قنديل البحر جزء من كارثة مزدوجة.

ويعتقد الباحثون أن سديم قنديل البحر، المعروف رسميا باسم آي.سي 443، نشأ عندما انفجر نجم تزيد كتلته عن كتلة الشمس بما يتراوح بين 15 و25 مرة في نهاية دورة حياته.

ويعتقدون أيضا أن السديم الآخر، المعروف رسميا باسم جي3.3+189.6، نشأ عن انفجار النجم المرافق، الذي كانت كتلته تتجاوز كتلة الشمس بما لا يقل عن 20 مرة.

ويعتقد أن كلا النجمين كانا، خلال فترة حياتهما، أكثر سطوعا من الشمس بعشرات الآلاف من المرات على الأقل. وبعد انفجارهما، ربما تحول كلاهما إلى بقايا كثيفة تسمى النجوم النيوترونية.

نوال الزغبي تحدد موعد إصدار «كيوت»

بيروت - أعلنت الفنانة اللبنانية نوال الزغبي عن موعد طرح أحدث أغنياتها المنفردة بعنوان "كيوت"، مؤكدة عبر حساباتها الرسمية أن العمل سيصدر الخميس 23 يوليو 2026 عند الساعة الثالثة عصرا بتوقيت بيروت، عبر قناتها على يوتيوب وجميع منصات الاستماع الرقمية.

ويأتي هذا الإصدار بعد فترة من التشويق عبر وسائل التواصل الاجتماعي، حيث حرصت الزغبي على مشاركة جمهورها مقتطفات من أجواء التحضير، ما زاد من حالة الترقب بين محبيها.

وأوضحت أن خطة النشر تشمل أبرز المنصات الموسيقية العالمية لضمان وصول الأغنية إلى جمهورها في مختلف الدول، في خطوة تعكس اهتمامها بتوسيع قاعدة مستمعيها خارج حدود العالم العربي.

وأثار الإعلان تفاعلا واسعا بين المتابعين الذين عبروا عن حماسهم الكبير، معتبرين أن الأغنية الجديدة ستشكل إضافة نوعية إلى رصيدها الفني الغني.

وتنوعت التعليقات بين التهاني والتوقعات، إذ وصفها البعض بأنها "أجمل خبر"، فيما أكد آخرون أن "الذهب يظل ذهبًا"، في إشارة إلى مكانة نوال الزغبي المستمرة في الساحة الفنية.

وترقب الجماهير طبيعة العمل الجديد، وسط تساؤلات حول ما إذا كانت الزغبي ستقدم لونا موسيقيا مختلفا أو ستواصل النهج الذي ميّز أعمالها الأخيرة، خاصة أنها عُرفت بقدرتها على المزج بين الإيقاعات الحديثة والروح الشرقية الكلاسيكية.

ويُتوقع أن يحظى الإصدار بمتابعة واسعة فور طرحه، نظرًا للشعبية الكبيرة التي تتمتع بها الفنانة وسجلها الحافل بالأغنيات الناجحة التي تركت بصمة في الذاكرة الفنية العربية.

أغادير تستعيد ذاكرة القصبة بعروض نوستالجيا

الرباط - تحتضن مدينة أغادير محطة جديدة من تظاهرة "نوستالجيا"، التي تحمل هذه السنة شعار "صدى القصبة.. أغادير أوفلا"، وذلك خلال الفترة الممتدة من 22 إلى 26 يوليو 2026، في موعد ثقافي وفني يهدف إلى إعادة اكتشاف أحد أهم المعالم التاريخية للمدينة.

وتقام هذه الدورة بعد النجاح الذي حققته تظاهرة "نوستالجيا" في عدد من المواقع التاريخية بالمملكة، حيث تسعى المحطة الجديدة إلى تقديم تجربة غامرة تحول قصبة أغادير أوفلا إلى فضاء ينبض بالحياة، عبر مسارات فنية تستلهم ذاكرة المكان وتعيد سرد تاريخه بلغة معاصرة تجمع بين الموسيقى والإضاءة والسينوغرافيا والعروض الحية.

وسيخوض زوار القصبة رحلة داخل أزقتها ومعالمها التاريخية، من خلال لوحات فنية تستحضر مختلف المراحل التي عرفها هذا الموقع، وتبرز غناه الحضاري والثقافي، في تجربة تسعى إلى تقريب الجمهور من التراث المغربي بأسلوب تفاعلي يزاوج بين التوثيق والإبداع.

وتتضمن برمجة التظاهرة عروضا يومية تمتد على مدار خمسة أيام، بمعدل ثلاثة عروض في اليوم، ما يتيح لعدد أكبر من الزوار فرصة عيش هذه التجربة الثقافية التي أصبحت تحظى بإقبال متزايد منذ إطلاق برنامج "نوستالجيا".

وتندرج هذه المبادرة ضمن مشروع أطلقته وزارة الشباب والثقافة منذ سنة 2023، بهدف تثمين المواقع التاريخية وإعادة الاعتبار لها، من خلال تحويلها إلى فضاءات ثقافية مفتوحة تستضيف عروضا فنية تعيد قراءة تاريخها برؤية معاصرة، وتسهم في تعزيز الوعي بقيمة التراث الوطني.

صباح العرب

الحبيب الأسود
كاتب تونسي

لا صيف بلا بطيخ

لا يمكن للمرء أن يتخيل صيفا قائظا كصيف هذا العام من دون بطيخ، أقصد تلك الفاكهة الجيدة التي تأكلها، تشربها، وتغسل بها وجهك، كما ورد على لسان نجم الأوبرا الإيطالي الشهير إنريكو كاروسو، أو كما قال الشاعر والكاتب الأميركي كارل ساندبرغ في "قصص روتاباغا" الموجهة للأطفال والصادرة في العام 1922: "عندما تكون للقمر حافة خضراء وبداخله لحم أحمر وبذور سوداء على اللحم الأحمر، فإنهم في بلاد الروتاباغا يسمونه قمر البطيخ وينتظرون حدوث أي شيء".

والبطيخ أو البِطِّيخ الأحمر أو البطيخ الهنديَ أو البطيخ الأخضر أو البطيخ الشامي أو الدلاع أو الدِّلاح أو الخِرْبِز أو الرِّقيّ أو الدبشي أو الحَبَش أو الحُبْحَب أو الجبس أو الجح أو اليح، جميعها من الأسماء المعتمدة في بلاد العرب لتلك الفاكهة الصيفية كروية أو إسطوانية الشكل المنحدرة من عائلة القرعيات والتي جعلها محتواها العالي من الماء (حوالي 92 في المئة) مصدرا حيويا للترطيب في المناخات الجافة.

تمتاز فاكهة البطيخ بذلك التاريخ الممتد لأكثر من 5000 عام في أفريقيا القديمة، حيث كانت تزرع في مناطق مثل وادي النيل. وقد عُثر على آثار للبطيخ وبذوره في مواقع تعود إلى الأسرة المصرية الثانية عشرة، بما في ذلك مقبرة الملك توت عنخ آمون. كما وُجدت رسومات لأنواع مختلفة من البطيخ في النقوش المصرية.

وبحسب بعض الدراسات، فإن فاكهة البطيخ الحلوة التي نستمتع بها اليوم هي نتاج طفرات تطورت على مدار ألف عام من الزراعة. إذ كانت بذور البطيخ تباع للتجار المارين عبر طرق التجارة في صحراء كالاهاري في أفريقيا، ومن هناك انتشرت زراعته في جميع أنحاء القارة. في البدء كان أصل البطيخ في أفريقيا، ثم انتشر إلى دول حوض البحر المتوسط وأجزاء أخرى من أوروبا. وبحلول نهاية القرن التاسع، أصبحت زراعة البطيخ شائعة في الصين وبقية أنحاء آسيا. ووفق "قاموس الطعام والشراب الأميركي" لجون ماريان، فإن كلمة "بطيخ" ظهرت لأول مرة في القاموس الإنجليزي عام 1615، واليوم يتوفر في الولايات المتحدة أكثر من 300 صنف من البطيخ، تتراوح ألوانها من الأحمر إلى الأبيض، وتأتي بأشكال وأحجام مختلفة.

أما اليوم العالمي للبطيخ، الذي يُحتفل به في 3 أغسطس، كاحتفال حديث بشعبية هذه الفاكهة عالميا، فقد اكتسب زخما عالميا، مع فعاليات تتراوح بين المهرجانات في الولايات المتحدة وألعاب تحطيم البطيخ التقليدية في اليابان.

وفي فيتنام، حيث يُطلق عليه اسم "دوا هو"، يُعد البطيخ عنصرا أساسيًا في المهرجانات الصيفية والتجمعات العائلية، ورمزًا للانتعاش والوفرة. وفي إسبانيا، يُستمتع بتناول البطيخ في الحدائق والشواطئ، بينما يُقيم الأستراليون فعاليات داخلية تتمحور حول البطيخ رغم حلول فصل الشتاء في شهر أغسطس. تبرز هذه الاحتفالات المتنوعة دور البطيخ كرمز للفرح والتواصل في جميع أنحاء العالم.

رغم تنوع وتعدد فواكه الصيف إلا أن البطيخ يبقى صاحب السيادة والفخامة والسمو والمعالي نظرا لمكانته الخاصة لدى شعوب العالم. وقد صدق الأديب والكاتب الأميركي الساخر مارك توين عندما قال "إنها من أفخر ملذات هذا العالم... عندما يتذوق المرء البطيخ، يعرف ما تأكله الملائكة".